

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإنسانية

شعبة التاريخ



المرأة الجزائرية ودورها في العهد العثماني (1519 – 1830 م)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر

إشراف الدكتور: ابراهيم سعيود

المشرف المساعد: مسعود كواتي

إعداد الطالبة:

سمية بوعامر

اللجنة المناقشة

رئيسا

مشرفا ومقررا

مشرفا مساعدا

عضوا مناقشا

أ.د/ صالح بوساليم

د/ ابراهيم سعيود

أ/ مسعود كواتي

أ/ يمينة بن الصغير

السنة الجامعية: 1433-1434هـ / 2012-2013 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾⁽¹⁾.

صدق الله العظيم

(1) سورة النساء: الآية 32، برواية ورش عن نافع.

وَرَدَ في كتاب: "الإسلام وقضايا المرأة" مقولة: "يُعدُّ وضع المرأة في أيِّ مجتمعٍ أحد المعايير الأساسية لقياس درجة تقدُّمه، لأنَّه لا يتصوَّر أن يتقدَّم مجتمعٌ في عصرنا الحالي بِحُطًى منتظمةٍ مُخلفاً وراءه النصف من أفرادهِ في حالة تخلفٍ، إنَّ المرأة لا تعيش في حالة انعزال عن الرجل، بحيث يمكن أن تتطوَّر بشكلٍ يميِّز وضعه تميِّزاً جذرياً عن وضع المرأة، فكلاهما في مركبٍ واحدٍ، فتخلفها لا بدَّ أن ينعكس أثره مباشرة على تفكير الرجل ومسلكه وبالتالي تخلفها يكون من أهمِّ العوائق الحضارية"⁽¹⁾.

الدكتورة زينب رضوان

(1) رواية عبد الحميد شافع، المرأة في المجتمع الأندلسي من الفتح الإسلامي للأندلس حتَّى سقوط قرطبة، ط1، مطبعة الصحوة، مصر، 2006، ص20.

الإهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى أعزّ مخلوقين في الكون، والدتي أولاد العيد زهية ووالدي بوعامر محمد، مع امتناني وشكري لهما على عطفهما ورعايتهما لي حتى بلغت هذه اللحظة، لأقدّم لهما ثمرة نجاحي، وأنا على يقين أنّ كلّ عبارات الشكر والتقدير لن توفيهما حقّهما عليّ، يا ربّ احفظهما يا ربّ.

كما لا أنسى أفراد عائلتي، إخوتي حسين، صهيب عبد الباسط، وأخواتي فاطمة الزهراء، مريم، غنيّة وسندس، وإلى أوّل حفيد في العائلة طارق حيلي.

سميّة بوعامر

كلمة شكر

أَتَقَدَّمُ بِأَسْمَى آيَاتِ الشُّكْرِ وَالتَّقْدِيرِ وَالْعُرْفَانِ لِلأُسْتَاذِ الْمُشْرِفِ، الدُّكْتُورِ إِبْرَاهِيمِ سَعِيدٍ، الَّذِي أَشْرَفَ عَلَيَّ مَذْكُرَتِي، وَتَابَعَهَا مِنْذُ الْبَدَايَةِ وَأَفَادَنِي بِتَوْجِيهَاتٍ قِيَّمةٍ وَتَصَوِّبَاتٍ هَادِفَةٍ.

كَمَا أَخَصُّ بِالشُّكْرِ الأُسْتَاذَ مَسْعُودَ كَوَاتِي عَلَى الْمُسَاعَدَةِ الْمَادِيَةِ وَالْمَعْنَوِيَةِ، حَيْثُ لَمْ يَبْخُلْ عَلَيَّ بِالْكَتَبِ النَّادِرَةِ وَالتَّوْجِيهِ.

هَذَا وَلَا يَفُوتُنِي أَنْ أُسَجِّلَ شُكْرِي إِلَى كُلِّ مَنْ وَجَدْتُ مِنْهُ عَوْنًا وَمُسَاعَدَةً سِوَاءَ مَنْ أَفْرَادَ عَائِلَتِي وَخُصُوصًا رَفِيقَةَ دَرْبِي ابْنَةَ عَمِّي هَاجِرَ وَعَمِّي عَيْسَى الَّذِي لَمْ يَبْخُلْ عَلَيَّ بِوَقْتِهِ لِكِتَابَةِ الْمَذْكُورَةِ رَغْمَ انْشِغَالَاتِهِ، وَكُلِّ أَفْرَادِ عَائِلَةِ أَوْلَادِ الْعِيدِ وَعَائِلَةِ بُوْعَامِرٍ، وَزَمِيلَاتِي وَزَمَلَائِي فِي الدَّفْعَةِ وَأَخَصُّ بِالذِّكْرِ خُضْرَةَ بُوْطَبَةَ وَأُمَّ الْخَيْرِ كَرِيمَ وَهَاجِرَ حَمِيدَةَ وَعَلِيَّ بُوْرَكْنَةَ وَسَلِيمَانَ دِهَانَ، كَمَا لَا أَنْسَى طَلِبَةَ الْمَاجِسْتِيرِ عَلِيَّ قَشَاشْنِي وَعَمَّارَ عَطِيَّةَ، وَطَالِبَةَ الدُّكْتُورَاهِ بِيْشِي رَحِيمَةَ.

وَأَرْفَعُ فِي الْآخِرِ تَشْكُرَاتِي الْخَالِصَةَ لِأَعْضَاءِ لَجْنَةِ الْمُنَاقَشَةِ الَّذِينَ قَبَلُوا مُنَاقَشَةَ هَذَا الْعَمَلِ رَغْمَ عِلَّاتِهِ.

وَلِكُلِّ هَؤُلَاءِ، أَقَدِّمُ فَائِقَ شُكْرِي وَامْتِنَانِي.

وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ

قائمة المختصرات

أ- القسم العربي:

المختصر	المعنى
د.م.ج.	ديوان المطبوعات الجامعية
د.ع.ح.ن.	دار العصر الحديث للنشر
ع.م.ن.ت.	عالم المعرفة للنشر والتوزيع
س.ط.ش.ج.	سحب الطابعة الشعبية للجيش
ش.و.ن.ت.	الشركة الوطنية للنشر والتوزيع
ط.م.و.ف.م.	طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية
مج.	مجلد
م.و.ك.	المؤسسة الوطنية للكتاب
م.م.ن.ت.	مكتبة المعارف للنشر والتوزيع
*	شرح مصطلحات بالهامش

ب- القسم الفرنسي:

Abréviations	Significations
OP. cit.	Ouvrage Précédent cité
OPU.	Office des Publications Universitaires
PP.	Plusieurs Pages
RA.	Revue Africaine.
Tard.	Traduction

المقدمة

المقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف خلق الله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

إنَّ التاريخ يشهد أنَّ المرأة الجزائرية عبر العصور قد استطاعت بجيويتها وقوتها وكفاءتها أن تعمق على الدوام مظاهر ومعاني الاحترام والتقدير لها وسط الأسرة والمجتمع، وأن توسع مشاركتها في الحياة بكل مجالاتها في الحرب والسلم مع وجودها كقاعدة أساسية للأسرة، ومن هذا المنطلق فإن المرأة الجزائرية في العهد العثماني وجدت لنفسها مكانة في المجتمع، فقد كانت القلب النابض له، إلا أنَّ أدوارها تفاوتت من ميدان لآخر حسب الظروف والعادات والتقاليد السائدة آنذاك. وبناءً على ذلك ارتأيت أن يكون عنوان مذكرتي موسوم بـ "دور المرأة الجزائرية في العهد العثماني 1519-1830م".

ومن دوافع اختيارنا للموضوع:

(أ) دوافع ذاتية: كون أنني باحثة جزائرية دفعني الفضول لمعرفة دور ومكانة المرأة الجزائرية في ذلك العهد الذي شهد غموض وعدم اهتمام من الباحثين المحليين والأجانب، بالإضافة إلى رغبي الشديدة في التعرف على نماذج نسوية تركت بصمتها في التاريخ الوطني.

(ب) دوافع موضوعية: من بينها اهتمام الباحثين الذين أرخوا للعصر الحديث بالموضوعات السياسية والعسكرية باعتبار الدور البارز للبحرية الجزائرية آنذاك وما ترتب عليه من صدام عسكري مع الدول الأوروبية كل ذلك أثر على حقل الدراسات الأكاديمية بالجزائر في حين ظلت الموضوعات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية خارج اهتمام الباحثين كل هذا دفعني للبحث في موضوع جديد ألا وهو المرأة الجزائرية ودورها في العهد العثماني.

وأصبو من وراء هذه الدراسة إلى تحقيق بعض الأهداف، منها:

المساهمة في إثراء المكتبة الجزائرية بالدراسات الخاصة بالتاريخ الاجتماعي، ولاسيما المتعلقة بالمرأة في العهد العثماني، نظراً لافتقارها إلى هذا النوع من الدراسات، فمعظمها يندرج ضمن الجوانب السياسية والعسكرية باعتبار الدور البارز الذي قامت به البحرية الجزائرية آنذاك، وما ترتب عليه من صدام عسكري مع الدول الأوروبية، أثر على حقل الدراسات الأكاديمية، فظلت المواضيع الاقتصادية والاجتماعية وحتى الثقافية مهمشة من طرف الباحثين.

- محاولة تقديم صورة صادقة عن المرأة الجزائرية ودورها وطبيعة علاقتها مع شرائح المجتمع باختلافها.

- كما أننا أحوج ما يكون إلى هذا النوع من الدراسات الاجتماعية لفهم واقعنا، وتسهيل عملية التواصل بين أفراد المجتمع، مما سيؤدي إلى خلق نوع من الترابط فيما بينهم، حيث أن الكثير من المظاهر الاجتماعية مرتبطة بالعهد العثماني.

ولتحقيق تلك الأهداف، لابد من الإجابة على إشكالية المذكورة التي تتجلى في السؤال المحوري التالي:

- ما هو دور المرأة الجزائرية في العهد العثماني، وما هي معطيات حياتها السياسية، الاجتماعية، الاقتصادية، الدينية والثقافية؟
وللتفصيل في ذلك، يمكن عرض عدة تساؤلات جزئية ترد الإجابة عنها ضمن فصول البحث، ومن أبرزها:

- كيف ساهمت المرأة في استقرار العثمانيين في الجزائر؟
- هل برزت شخصيات نسوية مؤثرة في الشؤون السياسية للبلاد؟
- ما مدى فاعلية المرأة في الوسط الأسري؟
- ما هي الظروف التي جعلت المرأة من أكثر المساهمين في الأوقاف؟
- ما هي النشاطات الاقتصادية التي مارستها المرأة في المدينة والريف؟
- كيف أثرت نظرة المجتمع على مستوى تعليم المرأة؟
- ترى، هل حافظت المرأة الجزائرية على الموروث الثقافي لها، أم أنها تفاعلت مع المؤثرات الأندلسية والعثمانية؟

وقد حددنا الإطار الزمني بالفترة الممتدة من (1519-1830م)، أي من بداية الحكم العثماني الرسمي في الجزائر إلى نهايته فيها، ولم يكن تحديد هذا الفضاء اعتباراً، فقد ضلّت الفترة المدروسة تشهد الغموض من كلّ الجوانب، فما بالنسبة لموضوع المرأة، لذلك كان من الصعب حصر المدّة في عقود أو قرن من الزمن.

وللإجابة على الإشكالات المطروحة، ارتأينا تقسيم الدراسة إلى أربع فصول: مُهّد لها بمدخل يعرض مكانة المرأة الجزائرية قبل العهد العثماني، وتطرّق نقطتين، الأولى حول المرأة في المغرب القديم، والثانية المرأة في المغرب الإسلامي. ثم الفصل الأوّل، وعنوانه "المرأة عنصر في العلاقات الأسرية والسياسية"، حيث احتوى ثلاثة مباحث، حول المصاهرة بين العثمانيين والسكان المحليين، ثم أثر الزواج المختلط على البلاد، إضافة إلى نماذج لأبرز الشخصيات النسوية.

أمّا الفصل الثاني، فكان التركيز فيه على "دور المرأة الاجتماعي"، حيث حاولنا أن نبرز مكانة المرأة ودورها الأسري، وكذا أثرها في التكافل الاجتماعي من خلال الوقف. وفي الأخير مشاركة المرأة في الحياة الاجتماعية.

وحُصِّص الفصل الثالث لـ "دور المرأة الاقتصادي"، حيث تطرّقنا لمدى نشاطها في المجال الصناعي والفلاحي والتجاري، وبالتالي مدى إسهامها في التنمية الاقتصادية للبلاد، مع إدراج نماذج لنساء ثريات.

وأمّا الفصل الرابع، فقد خصّصناه لدور المرأة الديني والثقافي، حيث استهلّ بعلاقة المرأة بالزوايا والأضرحة، ثم نصيب المرأة من التعليم، واختتم بعلاقة المرأة بالفن والموسيقى. وجاءت الخاتمة كخلاصة لما تقدّم ذكره، حيث جمعت أهمّ النتائج المتوصّل إليها من الدراسة.

وقد اتّبعنا لدراسة موضوع البحث، المنهج التاريخي الوصفي، التحليلي، والمقارن: وحاولنا من خلاله وصف الأحداث وتحليل المعطيات، من خلال مقارنتها ومناظرتها ببعضها، وتصحيح بعض المفاهيم والأخطاء التي وقع فيها بعض الأجانب في كتاباتهم، إمّا عن قصدٍ أو لسوء فهمهم لدور المرأة الجزائرية، وذلك بالعودة إلى المصادر المحلية والدراسات العلمية المتخصصة التي استندت على الوثائق الأرشيفية المحلية.

ومن جملة المصادر التي أثرت دراستنا، هي المصادر المحلية التي عاصرت الفترة المدروسة، ونذكر منها:

كتاب "المرأة" لحمدان بن عثمان خوجة، والذي تطرّق لدور المرأة الجزائرية سواء في المدينة أو في الريف، وكتاب "فريدة منسية أو تاريخ قسنطينة" لمحمد صالح العنتري الذي وصف لنا دور المرأة في بايليك الشرق، أمّا الدراسات الأكاديمية المعاصرة، فنذكر منها

كتابات عائشة غطّاس، وفاطمة الزهراء قشّي، وناصر الدّين سعيدوني، وغيرهم، وبالنسبة للمراجع الهامّة، فمنها كتاب "تاريخ الجزائر الثقافي ج 1 وج 2"، هو مرجع قيّم وأساسي في دراستنا، وغيره مما سنورده في بليوغرافيا البحث، أمّا عن المصادر الأجنبية، ممّا كتبه الرحالة والقناصل والأسرى وغيرهم، فلم نستغن عنهم مع التحفّظ في استخدام تلك المادة العلمية، ونذكر منها، كتاب "الطوبوغرافيا" لهايدو، وكتاب "مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر (1816-1824م)"، لمؤلّفه وليم شالر، إضافة إلى المقالات العربية والأجنبية التي لا يتّسع المقام لذكرها.

أمّا الصعوبات التي اعترضتنا في إنجاز هذا العمل:

فلا نرى بدءاً لبسطها لأنّها صارت مألوفة لدى أيّ باحث، ولا مبالغة إن قلنا أنّ تلك الصعوبات كانت حلاوة ومتعة البحث، لأنّنا في كلّ مرّة واجهتنا مشكلة إلاّ ومنحتنا دفعاً جديداً وعزماً على الاستمرار، ولكنّ قصرَ عمر زماننا كان أكبرَ هاجس في إنجاز هذه المذكرّة.

وبهذا نأمل أن نكون قد أسهمنا ولو بقدر بسيط في خدمة البحث العلمي، وأن يكون إثراءً لراغبي التوسّع في هذا المجال مستقبلاً من الباحثين المهتمّين بالدراسات الاجتماعية.

مدخل

مكانة المرأة الجزائرية

قبل العهد العثماني

تؤكد الدراسات الأنثروبولوجية الحالية المكانة التي تبوأها المرأة الجزائرية في مجتمعتها عبر العصور التاريخية، حيث استطاعت بجيويتها وقوتها وكفاءتها أن تعمق على الدوام مظاهر ومعاني الاحترام والتقدير لها وسط الأسرة والمجتمع.

وأن توسع مشاركتها في الحياة بكل مجالاتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها مع وجودها كقاعدة أساسية للأسرة في بيتها⁽¹⁾. ومن الأوصاف التي اشتهرت بها المرأة الأمازيغية، العفة والتضحية، والشجاعة وقوة تحمل أعباء الحياة. فكانت حاضرة وبثقل داخل الأسرة والمجتمع، فهي المشرفة على شؤون الأسرة تقوم بالتربية وتكوين النشء وبهذا تساهم المرأة الأمازيغية في الحفاظ على اللغة والهوية الأمازيغية حيث تزرع فيهم الحس بهويتهم وتنمي خيالهم بأساطيرها وأشعارها فتربطهم بأصول وأجدادهم الأمازيغ كما تجعلهم مندمجين داخل المجتمع هذا من جهة، ومن جهة ثانية كانت تهيئ الفتيات ليتأقلمن مع متاعب الحياة وليستعدن لتحمل المسؤولية لتخلفها مستقبلا في تولي هذه المسؤوليات⁽²⁾.

كما كانت للمرأة الأمازيغية تجربة غنية وعظيمة في تولي الزعامات المحلية والدينية⁽³⁾. حيث شاركت في حقل السياسة على أساس أن وراء كل رجل عظيم امرأة، فكل رجل عظيم إلا ووقفت وراءه امرأة في السلم والحرب، ففي الحروب قاومت بشجاعة نادرة إلى جانب أخيها الرجل في مختلف أشكال الحملات الغازية، وحافظت خلال ذلك على طهارة شرفها، ولم تدنس عرضها أمام أعلاج الروم، والوندال، والإسبان وغيرهم⁽⁴⁾.

1- المرأة في المغرب القديم:

ولعله من الضروري أن أعرض بدون إطناب لبعض النماذج من النساء في الجزائر قبل الفتح الإسلامي، وكذا فاعليتهن في مجالات الحياة، ففي القديم نجد "كليوباترا سيليني" زوجة يوبا الثاني. الذي ينتمي إلى السلالة النوميديّة، غير أنه يختلف عن أسلافه من الملوك بعدم اهتمامه بالنشاط السياسي وتحوله كلية للإنتاج الفكري، فبعد وفاة أبيه يوبا الأول عام (46ق.م)، وهو في الخامسة من عمره سقط بين أيدي القيصر الروماني الذي أخذه إلى روما

(1) مريم سيد علي مبارك، رجال لهم تاريخ متبوع، بنساء هن تاريخ، دار المعرفة، الجزائر، 2010، ص382.

(2) نفسه، ص382.

(3) نفسه، ص382.

(4) يحي بوعزيز، المرأة الجزائرية وحركة الإصلاح النسوية العربية، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009 ص

ص 23، 24.

فتولت تربيته ورعايته أخت القيصر ثم منح له حق المواطنة الرومانية. وتزوج بكليوباترا سيلين أسيرة أباطرة الرومان⁽¹⁾.

وقد رافقت كليوباترا زوجها إلى المغرب. علما أن روما قد قلدها أيضا الحكم الملكي بمشاركة زوجها ولم تكن مجرد زوجة، بل شاركت زوجها في سياسة الملك وتسيير شؤونه الرعية وكانت مثقفة في العلوم الإغريقية لغتها اللسان اليوناني وضربت لها السكة باسمها وهي ميزة الملوك وربما كانت تحضر مع زوجها في مداولات المجلس الملكي أو كان يكتفي بأخذ آرائها. توفيت كليوباترا قبل زوجها ولمكانتها المرموقة أبي يوبا الثاني إلا أن تمنح التقاليد المصرية في المدفن ورونق الدفن، فأعد لها قرب تيبازا قبرا فاخرا لازال قائما إلى الآن يسميه العوام بقبر الرومية⁽²⁾.

وفي أمور القيادة والحرب نجد مثالا على ذلك في شخصية الكاهنة* التي كانت أول رمز للمرأة المقاومة بالمغرب القديم⁽³⁾. كانت هذه المرأة متزوجة بإحدى الرؤساء، فلما مات بعلمها تسلطت على طوائف من الأهليين لما أوتيت من الشجاعة والدهاء والتدبير، ولاسيما التظاهر بمعرفة الغيبات والإطلاع على أسرار النفوس. ولهذا السبب لقبها العرب بالكاهنة البربرية⁽⁴⁾.

لقد كان تزعم الكاهنة "للأوراس وتجنيدتها للسكان وفي مقدمتها قبيلة جراوة التي كانت تنتسب إليها، قد أدى كما هو معروف - إلى هزيمة حسان ابن النعمان على ضفاف نهر مسكيانة سنة (69هـ/689م)⁽⁵⁾ وعلى إثر ذلك مني الجيش الإسلامي بشر هزيمة كانت

(1) أبو عمران الشيخ وفريق من الأساتذة، معجم مشاهير المغاربة، منشورات دحلبي، الجزائر، 2000، ص 498.
(2) عبد الحميد بن آشنهو، الملك يوبا الثاني وزوجته كليوباترة سيليني، سحب الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007، ص ص 30 - 75.

(*) وهي دهب بنت تابت بن تيفان. نشأت في قبيلة جراوة من زناتة المخيمة بجلال الأوراس، وكان لها ولدان ورثا الرئاسة عن سلفهما فاستبدت بهما على القوم ونظمت جندا أعدته لمقاومة العرب الفاتحين، نقلا عن، حسن حسني عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 18.

(3) حصة بالإذاعة الثقافية الجزائرية، حول المرأة الجزائرية والأندلسية، يوم 2013/03/12، الساعة 20.47 ليلا.
(4) حسن حسني عبد الوهاب، شهيرات التونسيات من الفتح الإسلامي إلى الزمان الحاضر، ط2، مكتبة المنار، تونس، 1966، ص 17، 18.

(5) ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار البصائر، الجزائر 2008، ص ص 418 - 419.

بمثابة انكسار وخيم في تاريخ الدولة الأموية. بيد أن سياسة الأرض المحروقة التي انتهجتها الكاهنة لم تكن في صالحها، لأنها كانت تسعى جاهدة إلى منع العرب الفاتحين من إحتلال إفريقيا⁽¹⁾. إعتقاداً منها أن المسلمين يبحثون عن الغنائم والأموال، وهذا ما خلق إستياءً عاماً في أوساط السكان البربر.

ويقال أن خصومها من البربر هم من طالبوا بعودة حسان بن النعمان وفي المرة الثانية وقعت معركة فاصلة بين الطرفين انتهت بانهزام الكاهنة وقتلها عند بئر الكاهنة بالأوراس سنة (82هـ/701م)⁽²⁾.

وهكذا كانت الكاهنة ضحية الاستقلال البربري. فقد اختارت المواجهة عوض الاستسلام والفرار، وكانت تقول لأولادها: "الفرار عار وسبة في وجه أمي، والتي قادت البربر والروم والعرب إلى ساحة القتال يجب أن تموت موت الملكات"⁽³⁾.

وعن تولي المرأة البربرية للشؤون الأسرية يروي هيرودتس: "أن نظام الأمومة كان أيضاً حالة من حالات مجتمع البربر. تكون السلطة فيه للأم، والأب غير معترف به شرعاً والأبناء تابعون لخالهم في الميراث. وعلى هذه الرواية يكون البربر أسبق الأمم إلى الاعتراف بحرية المرأة. ويؤيد هذا الطرح العلامة ابن خلدون الذي ذكر قبائل منهم تنتسب إلى أمهاتها. إلا أن مبارك المليي يرى أن وجود نظام الأمومة قديماً لا يمكن تعميمه على البربر بل هو خاص ببعض الأوساط وأن نظام الأبوة هو الغالب"⁽⁴⁾.

وفي الصحراء الكبرى برزت، شخصية تينيهينان، والتي تعددت الروايات حولها بين الأسطورة والحقيقة. فإذا اعتمدنا المصادر التاريخية فهي تصفها بتينيهينان الفيلاية، ناصبة الخيام، صاحبة الناقة البيضاء، ملكة الطوارق... وكلها ألقاب انفردت بها الملكة الأمازيغية الجزائرية ملكة الصحراء... وقد عُرف عنها أنها صاحبة حكمة ودهاء، أهلاًها لتكون

(1) مريم سيد علي مبارك، المرجع السابق، ص29.

(2) عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص29.

(3) عثمان الكعاك، موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الإحتلال الفرنسي، تقديم ومراجعة، أبو القاسم سعد الله وآخرون، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003، ص103.

(4) مبارك محمد المليي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم وتصحيح محمد المليي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1989، ج3، ص116.

ملكة، قَدِمَتْ هذه الأخيرة من تافيلالت الواقعة بالجنوب الشرقي للمغرب القديم، واستقرت في منطقة الهقار الجبلية التي يسكنها قوم "الأسباتن" المعروفون بخشونة طباعهم، وخصوصيات في اللباس وطرق العيش⁽¹⁾.

ويقال عن أصحاب هذه المنطقة أنَّهم قومٌ أجلاف، حاولت تينهيان تحريرهم فعلمتهم اللغة والعزف على آلة الإيمزاد، ويرى البعض بأنَّ الطوارق ينحذرون منها، بينما يرى آخرون أنَّهم من سلالة خادمتها "تقامات"⁽²⁾.

وهناك رواية لأهل الطوارق حول هذه الملكة يقول: "أنَّه في قديم الزمان وقعت حرب بين الطوارق وأعداء لهم، فخرجت النساء بقيادة تينهيان لحرب الأعداء بينما تحلّف الرجال عن الخروج، ومن ذلك الوقت لحقت اللعنة برجال الطوارق عقابا لهم على قهرهم من واجب حرب الأعداء. حيث أصبح الحكم سواء في القبيلة أو في الأسرة والنظام الاجتماعي ككل بيد النساء..."⁽³⁾.

إذا صدقت هذه الرواية فهذا يعني أن ما قاله هيرودتس حول نظام الأمومة عند البرابرة حقيقة، ولعلَّ على هذا الأساس نفهم سبب انتقال صفات النُّبل عن طريق النساء في المجتمع الطوارقي، حتى أنَّ الأطفال في العائلات النبيلة يُنسَبون لأُمَّهاتهم وليس لأبائهم كما هو الشأن في المجتمعات الأخرى.

وإذا نظرنا إلى وضع المرأة قبل ظهور الإسلام سواء في المجتمع العربي أو في الأمم الأخرى وجدناه في غاية التدهور، أمَّا الأوَّل فإنَّنا لا نجد أمانا أبلغ من قوله سبحانه وتعالى: "وإذا بُشِّرَ أحدهم بالأنثى ظلَّ وجهه مسودًّا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بُشِّرَ به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون"⁽⁴⁾.

وأما الثاني فقد كانت جميع الأمم التي سبقت العرب أساءت للمرأة، فقد كان الإغريق مثلا يعتبرون النساء من المخلوقات المنحطة، التي لا تصلح لغير دوام النسل وتدبير المنزل ويمثلهم في هذا الرأي الصينيون والإيطاليون والإسبان والرومان، وغيرهم.

(1) مريم سيد علي مبارك، المرجع السابق، ص 377 - 379.

(2) جمال سويدي، الشخصيات البارزة في تاريخ الجزائر القديم (من القديم إلى 1830)، ترجمة، فائزة بوردوز، منشورات التل، البليدة، الجزائر، 2007، ص 54.

(3) عبد الرحمن بوزيدة وآخرون، قاموس الأساطير الجزائرية، ط.م.و.ف.م.، الجزائر، 2005، ص 146.

(4) سورة النحل، الآيتين: 58-59.

ولعلي أميل إلى تحليل الدكتوراة راوية عبد الحميد شافع التي تُرجع سبب تدهور وضع المرأة في المجتمع الجاهلي وغيره من المجتمعات، إلى عمليات السبي التي كانت تتعرض لها الأنثى، وعن هذه الظاهرة يقول الفرنسي جيشار: "إنَّ عمليات السبي التي كانت تتعرض لها الأنثى كانت تؤدِّي إلى ضياع هوية وكرامة القبيلة التي تنتمي إليها الأنثى وترتّب على ذلك وُأد البنات، فقد فضّلوا لها القبر على أن تصبح جارية أو عشيقة لرجل آخر من قبيلة أخرى⁽¹⁾. وبالتالي إذا كان تحليله لهذه الظاهرة صواباً، فالمسألة إذاً ليست ضغائن شخصية ضدَّ العنصر الأنثوي، وإنّما هو الخوف العربي على ضياع الشرف والكرامة.

(2) المرأة في المغرب الإسلامي:

أما بعد ظهور الإسلام وقضائه على كل تلك العادات بنصوص قرآنية وأحاديث نبوية صريحة⁽²⁾. حفظ من خلالها للمرأة جناح الرحمة، وشملها في جميع تشريعاته بعطف كريم ورعاية رحيمة، وسماها إلى مستوى رفيع لم تصل إلى مثله في آية شريعة أخرى من شرائع العالم، قديمه وحديثه، وسوى بينها وبين الرجل في معظم شؤون الحياة، ولم يفرق بينهما إلّا حيث تدعو إلى هذه التفرقة طبيعة كل من الجنسين وما يصلح له، ومراعاة الصالح العام وصالح المرأة نفسها في التملك، بل تطلّ المرأة بعد زواجها محتفظة باسمها واسم أسرتها، وبكامل حقوقها المدنية⁽³⁾. ولم يقف عند هذا الحدّ بل كفل لها حق المشاركة السياسية عملاً بقوله تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْنَهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ"⁽⁴⁾.

(1) رواية عبد الحميد شافع، المرأة في المجتمع الأندلسي من الفتح الإسلامي للأندلس حتى سقوط قرطبة، المرجع السابق، ص 11.

(2) رواية عبد الحميد شافع، المرجع السابق، ص 16.

(3) علي عبد الواحد وافي، "المرأة والأسرة في الإسلام"، مجلة الأصالة، الجزائر، ماي 1971، ص ص 101، 102.

(4) سورة الممتحنة، الآية: 12.

وقد خلّدت المصادر التاريخية مشاركة النساء في بيعة الرسول (ص) بعد فتح مكّة، ومنهنّ هند بنت عتبة وغيرها، وبعد وفاته لم تقف المرأة مكتوفة الأيدي بل شاركت زوجته عائشة (ض) في أمور السياسة والأمثلة كثيرة حول الموضوع⁽¹⁾.

وإذا انتقلنا للمغرب الإسلامي في القرون الثلاثة الأولى من فتحه، وجدنا تاريخه غامضا، نظرا لقلّة واضطراب المعلومات حوله في الجانب السياسي، فما بالك بالحديث عن المجتمع المغربي وتحديدًا عن طبيعة حياة المرأة فيه وأدوارها، غير أنّ بعض الإشارات المحتشمة في المصادر التاريخية المختلفة، سمحت لنا بالوقوف على أدوار بعض النساء في مجالات سياسية واجتماعية، ساهمت في بناء حضارة المغرب الإسلامي وواكبت أدوار الرجال⁽²⁾.

إنّ أول امرأة ورد ذكرها في تاريخ هذه المرحلة تدعى "أم حكيم" وهي جارية لطارق بن زياد فاتح الأندلس، ولا تعلم أصلها. دخلت الأندلس معه سنة (92هـ) وخلفها بالجزيرة الخضراء ومعها نفر من جنده عند زحفه في اتجاه قرطبة، ولذلك أصبحت هذه الجزيرة تعرف بجزيرة أم حكيم أو مرسى أم حكيم، ولا يستبعد أن يكون ذلك تخليدا لاسمها أو أنه ارتبط بدور سياسي قامت به إلى جانب مكانتها الاجتماعية لدى القائد الكبير طارق بن زياد⁽³⁾.

وبالنسبة لدور المرأة الجزائرية في الدولة الرستمية التي تعتبر أوّل دولة بالمغرب الأوسط انفصلت عن الخلافة بالشرق، والتي كانت ذات إشعاع حضاري وفكري انعكس على المرأة الرستمية فكانت مجاهدة ومفكرة ومفسرة في مسائل الدين⁽⁴⁾.

ومن الأميرات الصنهاجيات نذكر السيدة "أم ملال" بنت المنصور بن يوسف الصنهاجي، التي نشأت في كنف والدها صاحب إفريقية وأخيها بادس ولي عهده، كانت السيدة ذات تربية عالية وأدب غزّ وعلم جمّ، كانت تشارك أخاها في تدبير أمور

(1) للمزيد من التفاصيل ينظر، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، 1991، ج2، ص ص 161، 162.

(2) محمد المغراوي "المرأة المغربية في بدايات العصر الإسلامي"، مجلة دعوة الحق، المغرب، العدد 399، سنة 53، ربيع الأول 1432هـ - مارس 2011، ص13.

(3) عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، 1995، ص ص 232، 233.

(4) إبراهيم بحاز، الدولة الرستمية دراسة في الأوضاع الاقتصادية والفكرية، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، 1993، ص377.

السياسة، كما أنها تشاركه في إحكام الصلات الحسنة مع الدول المجاورة، وكانت قد اعتلت المملكة بعد أخيها، فكانت بذلك المرأة الوحيدة التي حكمت إفريقيا⁽¹⁾.

كما شهد للأميرة "بلارة" بنت تميم بن المعز بن بادس، بعلو همتها وكرم شمائلها، ذلك أن والدها عني بتربيتها، تربية عربية متينة مؤسّسة على العلم والدين، ففي سنة (470هـ) تزوجها ابن عمها "الناصر بن علناس الصنهاجي" صاحب قلعة بني حماد وبجاية، ومن شغفه وحبها لها ولخصالها ابنتي لها قصورا شاحخة ببجاية وقلعة بني حماد وهو معروف "قصر بلارة"⁽²⁾.

كانت بلاد المغرب الإسلامي في عصر الموحدّين تتميز بانتشار العلم والتعليم، وهذا ما جعل بنات الأمراء القدوة الصالحة لبنات العامة في الإقبال على العلم، فقد درست العديد منهن بل ونافست العلماء. نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

- زينب بنت الخليفة بن عبد المؤمن التي كانت عالمة، فاضلة درست علم الأصول على يد أبي عبد الله بن إبراهيم⁽³⁾.

حفصة بنت الفقيه أبي عبد الله محمد أحمد السلمي المعروف بابن العروس، كانت صالحة عالمة بالفرائض ودراسة الكثير من كتب الحديث⁽⁴⁾.

- حفصة ابنة القاضي موسى بن حماد الصنهاجي العالمة⁽⁵⁾.

- فاطمة بنت أبي زيد النّجار، زوجة أبي عبد الله محمد الثاني بن مرزوق جد الخطيب وأُمها هي هنية بنت حسين من الصالحات⁽⁶⁾.

- عائشة بنت الفقيه الصّالح القاضي بن الحسن المديوني، وأم ابن مرزوق الحفيد، كانت صالحة ألّفت مجموعاً في الأدعية اختارتها، ولها قوة في تعبير الرؤيا، اكتسبتها من كثرة المطالعة في كتب الفن⁽⁷⁾.

(1) حسن حسني عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 69 — 75.

(2) نفسه، ص 84 — 86.

(3) نبيلة عبد الشكور، "أثر المرأة في الثقافة في بلاد المغرب بالأوسط"، المرجع السابق، ص 81.

(4) نفسه، ص 82.

(5) نفسه، ص 82.

(6) عبد العزيز فيلاي، تلمسان في العهد الزياني، ط.م.و.ف.م، الجزائر، 2002، ج 1، ص 294.

(7) أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، تقديم، محمد رؤوف القاسمي الحسني، ط.م.و.ف.م، الجزائر،

1991، ج 1، ص 158.

وفي التصوف ظهرت نساء لهنّ كرامات وتعرف بالوليّات الصّالحات، فقد ذكر ابن قنفذ العديد منهن سواءً رآهن أو رويت له عنهن أخبار في الفترة ما بين (759-776هـ/1357-1374م) كما أفاد بذلك ابن مرزوق الخطيب (ت781هـ-1379م)، بوجود عدد هائل من فضليات النساء التلمسانيات الصّالحات نذكر منهن:

- أميّة بنت يعزّوسن متصوّفة، عابدة، أدركت عبد السلام التونسي أنافت على مائة سنة وكانت كثيرا ما تجتمع به⁽¹⁾.

- هنية ابنة حسين، من الصالحات.

- عائشة ابنة الأكل، تلقب "بالشيخة الصالحة"، كانت من خيار العالمات⁽²⁾.

- ستم ابنة الشيخ أبي علي حسين بن الجلاب العالم الفقيه، كانت صالحة⁽³⁾.

- ومنهنّ المرأة المتصوّفة الصّالحة الفقيرة المعروفة "بالمؤمنة التلمسانية"، كانت على درجة كبيرة من الزّهد والتّقشّف، والعبادة والورع، حتى أنّها كانت تنقطع عن الناس في رجب وشعبان ورمضان⁽⁴⁾.

ومن الأدبيات والشّاعرات اللّواتي برعن في قول الشعر، وأسهنّ في مواصلة بعث الحركة الشعرية النسوية في المغرب الأوسط، نذكر:

- عائشة البجائية ابنة الفقيه أبو الطاهر عمارة الشريف، كانت أدبية نصيحة لبيبة، كان لها خطّ حسن، وأخبرنا الحفناوي: "رأيت كتاب الثّعالي بخطّها في ثمانية عشر جزءاً...."

من مختاراتها:

أخذوا قلبي وساروا	واشّـتياقي أو دَعْنِي
لأعـدا إن لم يعـودوا	فاعـذروني أو دَعُونِي ⁽⁵⁾

(1) نبيلة عبد الشكور، نفس المرجع، ص 81.

(2) نفسه، ص 83.

(3) الحفناوي، المصدر السابق، ص 294.

(4) عبد العزيز الفيلاي، المرجع السابق، ص 295.

(5) أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، تقديم، محمد رؤوف القاسمي الحسني، ط.م.و.ف.م، الجزائر،

1991، ج2، ص 117.

ويُقال إنها بعثت برسالة إلى ابن الفكون شاعر وقته، وقالت له عارضها أو زد عليها، فكتب إليها معذراً عن الجواب: الاقتصار عليها هو الصواب⁽¹⁾.

وأما العلوم العقلية فقد شكّلت العالمات نُخبة متميزة في مجتمع المغرب الأوسط، لم يُعثر في هذا التخصص سوى على اسم عالمة واحدة في تخصص علم الكيمياء وهي العالمة "مريم الزناتية" التي تُعتبر أول كيميائية في بلاد المغرب الإسلامي ككل⁽²⁾. وقد ورد ذكرها عند حسن حسني عبد الوهاب دون سواه من المصادر التاريخية⁽³⁾، ومن أشعارها:

تعلّمتُ علم الكيمياء جميعه وطوّقتُ فكري من مزاياه أطواقا⁽⁴⁾

وفي العهد الزياني كانت المرأة تساهم في النشاط السياسي والحربي، وفي نظام الإستخبارات ومراقبة التجار وتفتيش النساء في أبواب المدينة.

ومثال ذلك: أم يغمُراسن التي تمكّنت من توقيع معاهدة سياسية مع الحفصيين، وكانت تتمتع بقوة الشخصية والشجاعة الأدبية⁽⁵⁾.

بعد هذه الإطلالة الموجزة على بعض الحرائر من نساء الجزائر البطلات، والقائدات والعالِمات والفقيهات والأديبات، يجدر بنا أن نقف وقفة إجلال وتقدير لنساء العامة اللواتي لم تذكرهن المصادر أو لم تستوفهن حقهن كاملا.

وفي نهاية هذه المقتطفات عن مكانة المرأة الجزائرية قبل العهد العثماني، نلاحظ أن حضارة المغرب الأوسط لم تخلُ من إسهامات المرأة في شتى مجالات الحياة، لاسيما من القرن (6-9هـ/12-15م)، تُرى هل مُنحت الفرصة للمرأة الجزائرية في العهد العثماني للقيام بأدوار بارزة ولتكون صاحبة مكانة سامية داخل أسرتها ومجتمعها؟ وهذا ما سنتطرق إليه من خلال البحث.

(1) أبو القاسم الحفناوي، المرجع السابق، ج2، ص117.

(2) نبيلة عبد الشكور، المرجع السابق، ص81.

(3) حسن حسني عبد الوهاب، المرجع السابق، ص123.

(4) حسن حسني عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 123.

(5) عبد العزيز الفيلاي، المرجع السابق، ص ص292، 293.

الفصل الأول:

المرأة عنصر في العلاقات الأسرية والسياسية

المبحث الأول: المصاهرة بين العثمانيين والسكان المحليين

المبحث الثاني: أثر الزواج المختلط على سياسة البلاد

المبحث الثالث: نماذج لأبرز الشخصيات النسوية

المبحث الأول: المصاهرة بين العثمانيين والسكان المحليين

إن الباحث في الوضع الاجتماعي لبلد ما يقوده للبحث في وضعه السياسي. وبالنسبة للجزائر في مطلع القرن (10هـ - 16م). فقد شهدت بروز الأتراك العثمانيين في مسرحها السياسي، وذلك نتيجة ظروف صعبة عاشتها الجزائر من غزو خارجي، وتفكك داخلي، وتدهور للأوضاع الأمنية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها.

وخلال ذلك اقترح خير الدين بربروس على سكان الجزائر من أعيانها والعلماء والصلحاء والمشايخ، يخبرهم بصرف الخطبة إلى السلطان سليم العثماني، وضرب السكة باسمه كي يضمنوا مساعدته وتزويدهم بما يلزمهم من الرجال، والآلات لحماية مدينتهم. وكتبوا كما أمرهم خير الدين⁽¹⁾، "كتاباً على لسانهم على حضرة السلطان العثماني المذكور يخبرونه بصرف طاعتهم إليه، وأنهم من جملة من تنفذ فيهم أحكامه ويقع فيهم نقضه"⁽²⁾. وذلك بتاريخ أوائل ذي الحجة سنة (925هـ) و أوائل نوفمبر (1519م)⁽³⁾.

وكتب هو كتاباً آخر إلى السلطان سليم، الذي رحّب بطلب أهالي الجزائر وخير الدين بالانضمام طوعاً تحت لوائه، وسُرّ به كثيراً⁽⁴⁾.

ولإرساء دعائم الحكم العثماني بالجزائر، كانت المصاهرة من بين سياسات الحكم العثمانيين والتي اعتمدها قبلهم العرب الفاتحون للمغرب الإسلامي الذين كانت لهم رغبة في نكاح البنات من أهالي البلاد المفتوحة سواء على وجه التسري من السبي والجواري، أو بمصاهرة البيوتات العريقة، وذلك لما للمصاهرة من التأثير العظيم في ربط علائق الألفة وأواصر الصداقة وحسم الخلافات وإبادة الضغائن والأحقاد، وهذا ما سهل عملية انصهارهم في القبائل البربرية⁽⁵⁾.

(1) عمار بن خروف، العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر الهجري السادس عشر ميلادي، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2006، ج1، ص23.

(2) عبد الحليل التميمي، "رسالة أهالي مدينة الجزائر للسلطان العثماني سنة 1919"، المجلة التاريخية المغربية، العدد5، تونس، 1976، ص 99.

(3) المرجع نفسه، ص 99.

(4) F. Diego de Haedo, Histoire Des Rois D'Alger, Trad. Française De H. Degrammont, Alger, 1881, PP 35,36.

(5) حسن حسني عبد الوهاب، المرجع السابق، ص ص 10،11.

لقد سمحت المصاهرة بين العثمانيين وممثلي الجماعات المحلية النافذة بالريف خاصة العائلات الكبرى المتفندة والمرابطية بظهور روابط التلاحم بين الطرفين⁽¹⁾. وأول ما نلاحظه في هذا الميدان هو الزواج السياسي الذي جمع عروج بزوجة سليم التومي السيدة ظافرة.

1- مصاهرة العثمانيين للمرابطين والأعيان:

وفي إطار التحالف بين السلطة العثمانية والطرق الصوفية، كانت هناك مصاهرة بين حسين باشا وهو آخر الباشوات من إحدى حفيدات ابن يوسف الملياني⁽²⁾. هذا الأخير الذي جمعه اتصال بعروج سنة (1517م) على شاطئ قرب وهران عند ما قصده الإخوة ببروس مع أسير مغربي كدليل لهم⁽³⁾.

وكان ذلك بمثابة أول تحالف عثماني مرابطي بالجزائر، وهذا لإدراك العثمانيين بأن رجال التصوف هم خير حليف لهم في صراعهم ضد الإسبان.

ويذكر محمد بن صالح العنثري "وبعد عودة حسن بن خير الدين إلى الجزائر على رأس البايليك في أعوام (1557 - 1561م) تفاوض مع ولد القاضي أمير كوكو، وتزوج ابنته ليقربه منه"⁽⁴⁾.

كما تزوج عدد من الباشوات من أندلسيات مثل الحاج بشير باشا الذي نجد له ابنة تسمى عائشة أصبحت زوجة القائد داود. وهذه المصاهرات جعلت عددا من العائلات

(1) Feraud Charles, Histoire des villes de la province de Constantine, Bougie, L. Arnault, 1870, PP 88,89.

(2) أحمد مريوش ومجموعة مؤلفين، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007، ص 121.

* الملياني نسبة إلى مليانة وهي كبيرة جدا وقديمة، بناها الرومان وأطلقوا عليها اسم مكنانة، عاشوا أحرارا حتى جاء ببروس فأخضعهم وفرض عليهم الضرائب، نقلا عن الحسن بن محمد الوزان، وصف إفريقيا، ترجمة، محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ج1، ص ص 34، 35.

(3) محمد بن أحمد ابن مريم، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، مراجعة محمد بن أبي الشنب، المطبعة الثعلبية، الجزائر، 1908، ص 266.

(4) محمد الصالح بن العنثري، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة، تحقيق، يحي بوعزيز، ط1، ع.م.ن.ت، الجزائر، 2009، ص 29.

الأندلسية تتولّى مناصب عالية في العلم والدين خلال العهد العثماني مثل، عائلة ابن نيكرو وابن الكباطي وابن الأمين⁽¹⁾.

وفي هذا الصدد يرى المنور مريوش "أنّ صلات المصاهرة بين العثمانيين والأندلسيين، خاصة عائلات العلماء والأشراف ذوي المكانة العالية في المجتمع جعلت منهم طائفة مغلقة، تمارس زواج الأقارب وتكاد تحتكر المناصب الدينية والحضرية العليا على مدى القرون لكن ذلك التزاوج قد يكون عن طريق الإكراه هو تزويج بعض بناتهم للحكام وكبار رجال السلطة.... ومع مضي الزمن، كان اندماج أهل الأندلس في المجتمع الحضري يؤدي بهم إلى إغفال ذكر أصلهم، فيما عدا الأسر الكبرى التي احتفظت بمكانتها العالية وانتسابها إلى الأندلس"⁽²⁾.

أما بشرشال فالمرابط سيدي مالك البركاني الذي له نفوذ على المناطق المحيطة بشرشال كبني منصور، ريغة، بني مناد، فقد تزوج من ابنة قائد شرشال، وهذا بعد ما هدّده بإثارة بني منصور ضده عندما رفض طلبه في البداية وهنا تدخل آغا العرب بالمنطقة المدعو (يحيى بركاني) حيث أعطى الأمان للبركاني كما عينه شيخا على بني منصور وزوّجه من ابنة القائد⁽³⁾.

2) مصاهرة العثمانيين لمنطقة القبائل:

كان الباي محمد بن علي الملقب بالسّفاح من أشهر القادة الأتراك الذين تعاقبوا على إدارة برج سيباو بمنطقة القبائل، كان قد درس بزاوية آيت عمار والتي كان مؤسسها من أصل تركي، وبفضل العلاقة والصدقة التي حققها هذا القائد حين دراسته بالزاوية، طلب ابنة سي عمار بوكتوش كبير الأسرة في تلك الفترة و وُفق في طلبه، وبهذه المصاهرة كان الباي محمد السفاح يطمح إلى مساندة، أو على الأقل، حياد القبائل التي بقيت موالية لأحفاد بني القاضي ومن بينهم قوم بني جناد وآيت إراثن⁽⁴⁾.

(1) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1500 - 1830)، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ج1، ص399.

(2) المنور مريوش، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009، ص ص 287، 288.

(3) Guin Louis, « Note sur la famille de R'obrini ». in R.A, N°18, 1874, PP 456_457.

(4) محمد الصغير فرج، تاريخ تيزي وزو منذ نشأتها حتى سنة 1954، تعريب، موسى زمولي، منشورات ثالة، الجزائر، 2007، ص75.

(3) مصاهرة العثمانيين للمحليين ببايليك الشرق:

يعتبر عمر الوزان من أبرز علماء القرن (10هـ-16م)، جمع على غير عادة العلماء في عصره بين العلم والتصوف والثروة المادية التي جاءت من زوجته التي تنتمي إلى أحد الأغنياء وهو ابن آفانوس الذي كان مقربا لدى أمراء قسطنطينة⁽¹⁾.

وفي هذا البايليك كانت أشهر المصاهرات مع آل مقران، فحسب ما أورده فيرو فإن الباي علي (1710-1713م) زوج بناته الثلاثة لشيوخ قبيلة آل مقران⁽²⁾. وتعد هذه العائلة من أكبر القبائل المخزنية والمرابطة ببجاية وما جاورها .

والباي حسين بوحنك (1746-1753م) هو نفسه صاهر عائلة آل مقران المسيطرة على بجاية هذه المصاهرة سمحت له بضمان الأمن في هذه المنطقة التي تدين بالولاء لهذه العائلة المرابطية⁽³⁾.

وكانت المصاهرة وسيلة إعتدتها الحكام لكسب العلماء وخاصة الذين يبدون على الساحة كالشيخ محمد بن دالة المولود سنة (1780م)، ولما ذاع صيته ووصلت أخباره باي قسطنطينة من تقوى وإصلاح ذات البين عرض عليه وظيفة دينية لكنه أبى، فألح عليه كثيرا حتى وصل إلى مصاهرته⁽⁴⁾.

ومن جهة أخرى ساهمت المصاهرة في اشتداد حدة التنافس بين الأسر وكذلك بين الحكام في المنطقة بتشجيع حكام الأيالة له وتحريضهم عليه، وانتصارهم لحاكم دون آخر لأنهم وجدوا في الإبقاء على هذه العداوة بين الحكام المحليين، خير وسيلة لفرض نفوذهم وإقرار سلطتهم على كامل مناطق الجنوب.

ففي هذا الصدد نجد أن الباي محمد بن أحمد القبائلي يناصر بحكم مصاهرة عائلة بن قانة بالزيبان في نزاعها مع عائلة بني جلاب، والمصالح المشتركة، مما اضطر الشيخ إبراهيم بن جلاب إلى الفرار والتخلي عن زعامة توغرت إلى إبراهيم بن الحاج بن قانة، لكن هذه

(1) أبو عمران الشيخ وفريق من الأساتذة، المرجع السابق، ص 482.

(2) Feraud, Op- cit, P 293

(3) محمد العربي الزبيري، مدخل إلى تاريخ المغرب الحديث، ط2، ش.و.ن. ت.، الجزائر، 1980، ص 26.

(4) يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995، ج1، ص138.

النتيجة لم ترضي الباي محمد بن أحمد القبائلي، ولهذا سعى جاهدا في تدبير مؤامرة ضد أسرة بن جلاب وذلك بتحريض أفراد هذه الأسرة ضد أخيه محمد بن جلاب للتخلص منه⁽¹⁾. ونفس الموقف وقفه الباي أحمد المملوك فيما بعد عندما حاول الإنتقام من محمد بن جلاب ومصاهرة فرحات عباس من عائلة بوعكاز الراغب في حكم توغرت مقابل تقديم مبالغ مالية لخزينة البايليك⁽²⁾.

بالنسبة لمشاركة المرأة في السياسة العامة للبلاد، ينفي الأستاذ سعد الله عدم مشاركتها في ذلك، فهي حقا لم تكن عضوة في الديوان ولا موظفة سامية في إطار الدولة ولكنها كثيرا ما تدخلت في توجيه القرارات والتأثير على أزواجهن في اتخاذ مواقف معينة مثل: زوج بابا حسن باشا التي أثرت عليه في إطلاق سراح الأسرى الفرنسيين عند ضرب هؤلاء لمدينة الجزائر سنة (1688م) مما جعل الوجود* يثورون عليه ويذبحونه⁽³⁾.

ويذكر صالح العنتري حادثة مماثلة ببايليك الشرق مفادها: "أن عبد باي حكم البايليك سنة (1804-1806)، وفي زمانه وقعت الحرب بين الجزائر وتونس وكان عبد الله باي صاحب إقدام وحرب إلا أن امرأته تشاركه في الأحكام وذلك أمر قبيح عند العرب والأعجام... ويقال بأن زوجته الدايكرا بنت حسين باي أثرت عليه في موقفه وتخوفه، وشاع بين الناس أنها تتدخل في إدارة البايليك وتتحكم في سياسة زوجها وسلوكه، وعندما وصلت رسالته وأخبره إلى الداوي بالجزائر غضب عليه وأمر بعزله وجلده بالعصا ألف جلدة وإعدامه شنقا هو وزوجته ونفذ ذلك عام 1806"⁽⁴⁾.

وفي نفس البايليك صاهر صالح باي ابنه أحمد المقلبي وصار بذلك قائدا على عرش الحراكته بالأوراس (1771م). لمدة ثلاث سنوات وعندما توفي صهره، أحمد المقلبي سنة (1771م)، عيّن صالح باي في مكانه على رأس البايليك⁽⁵⁾.

(1) ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني، المرجع السابق، ص 537

(2) نفسه، ص 537.

(3) أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 163.

*الأوجاق ومفردها وجق وهي كلمة تركية لها عدة معاني أطلق على مجتمع أرباب الحرف، كما أطلق على الصنف من الجند، كالسباهية، وهم فريق من العساكر في الجيش الإنكشاري، نقلا عن، سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مراجعة عبد الرزاق محمد حسن بركات، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2000، ص 42.

(4) محمد صالح العنتري، المصدر السابق، هامش ص 64.

(5) نفسه، هامش ص ص 62، 63.

كما أن الحاج أحمد باي إرتبط بإقليم قسنطينة بالمصاهرة، وكان له أخ من عائلة ابن قانة التي لها مكانة وسلطة على عرب الصحراء في نواحي بسكرة والزاب⁽¹⁾. أما جده فهو الباي أحمد القلي التركي الذي سبق ذكره وأمه تدعى الحاجة غنية ابنة بن قانة، وهي من عائلة عريقة⁽²⁾.

وبفضل هذه المصاهرة تمكن الحاج أحمد باي من تطبيق سياسة التي اتسمت بمحاولة استقطاب معظم القبائل وكذا العائلات القسنطينية الكبرى قصد تأييده ونصرته، ولاشك أن تلك السياسة قد جاءت بثمارها، فإلى جانب تحقيق الأمن إلى حد كبير، كانت لها أيضا نتائجها الإيجابية على الحياة الاقتصادية والاجتماعية⁽³⁾.

4) مصاهرة العثمانيين للمحليين ببايليك الغرب:

نفس السياسة انتهجها الحكام ببايليك الغرب فالمصادر تذكر أن مصطفى بوشلاغم كان متزوجا من عدة نساء صاهر بهن شيوخ النواحي العربية وقوادها، ولذلك ظل في الحكم ثلاثين سنة⁽⁴⁾. وكان الباي محمد المقلش وبعد تأكده من تورط المغرب في حرب الدرقاوة عهد إلى الدهاء والسياسة حيث تصاهر مع شيوخ قدور بن الصحرأوي، وهو من القبائل الموالية للدرقاوة كما أرسل إلى هذه القبائل الحبوب أثناء المجاعة التي اجتاحت تلمسان⁽⁵⁾. كما أنه صاهر قبيلة الحشم وهي أكبر قبيلة ساندت الدرقاوة وكان هذا بإشارة من العلامة الأخضر علي الباي حتى يتمكن من القضاء على الثورة الدرقاوية⁽⁶⁾.

هذه المصاهرة سمحت للحكام ببسط نفوذهم على البايليك، وإحلال الأمن خاصة في المناطق التي تقطنها قبائل شديدة المراس، فهذه المصاهرة كانت وجه آخر لسياسة الحكام للتقرب من فئات المجتمع التي لها وزنها وتأثيرها على المجتمع.

(1) أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال، ع.م.ن.ت، الجزائر، 2009، ص 133، 134.

(2) بوضرساية بوعزة، الحاج أحمد باي في الشرق الجزائري رجل دولة ومقاوم 1830 – 1848، دار الحكمة، الجزائر، 2010، ص 57.

(3) صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة 1826 – 1850، د.و.ج، الجزائر، 2009، ص 127.

(4) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرج السابق، ص 163.

(5) عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ط2، دار الثقافة، بيروت، 1983، ج3، ص 291.

(6) أحمد علي الراشدي ابن سحنون، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق، المهدي بوعبدلي، مطبعة البعث، قسنطينة، 1979، ص 49.

(5) أثر المرأة على سياسة البلاد:

يشير الأستاذ أبو القاسم سعد الله إلى ظاهرة الرشوة المتفشية في العهد العثماني، والتي لا يكاد مصدر سواء مسلم أو غير مسلم يغفل عنها فيقول: "ولا يكاد يعين أحد في منصب أو يرقى إلى وظيفة إلا إذا رشى الباشا وحرّمه ووزرائه وكبار الموظفين، وهلم جرا"⁽¹⁾. وهذا ما يدل على اهتمام المرأة و مشاركتها في التأثير على قرارات أزواجهن، رغم أن أبو العيد دودو يذكر: "أن امرأة كانت قد أعلنت عن ظروف الداي أحمد خوجة... فأصدر الداي أمراً بأن كل من يتجرأ على الحديث عن شؤون الدولة سيعاقب على ذلك بالموت خنقا بالنسبة للتركي، وشنقا بالنسبة للحضري، وحرقا بالنسبة لليهود، وإغراقا بالنسبة للمرأة"⁽²⁾.

والسؤال المطروح هنا كيف كانت للنساء الجرأة، للخوض في أمور السياسة وهن يعلمن عقوبة ذلك.

وهناك بعض الدايات الأوائل من فكّر في إدماج الأسرى مع المواطنين وذلك عن طريق المصاهرة، غير أن المرابطين كانوا متخوفين من ذلك لما فيه من خلط لنقاوة دم المسلم واعترضوا عليه بشدة وعليه قالوا أن كل العلاقات بين العبيد المسيحيين والنساء المسلمات تعتبر جريمة تستحق الإعدام⁽³⁾.

ورغم ذلك فيذكر سيمون بفايفر في مذكراته أن صديقه الهولندي، فك قيوده ذات يوم بكلمات: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وأرسل إلى باي قسنطينة فوضع تحت تصرفه: مالا وداراً بحديقة وعدداً من العبيد، ويضيف: "وسمعت فيما بعد أنه تزوج البنت الوحيدة لأمين بيت المال بقسنطينة"⁽⁴⁾. وهنا نتساءل كيف يصل علج إلى هذه الدرجة في ظرف وجيز. بالنسبة للداي لا يجوز أن يكون له نساء داخل دار الإمارة، فإن تزوج فعليه أن يسكن زوجته في منزل آخر بالمدينة أو ضواحيها، وإن تزوج الداي فيتساهل فقط من

(1) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص 153.

(2) أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان 1830 - 1855، م.و.ك، الجزائر، 1989، ص 49

(3) جيمس ولسون ستيفن، الأسرى الأمريكان في الجزائر 1785 - 1797، ترجمة، علي تابلت، منشورات ثالثة، الجزائر، 2007، ص 239

(4) سيمون بفايفر، مذكرات أو لحظة تاريخية عن الجزائر، تقديم وتعريب، أبو العيد دودو، ش. و. ن. ت، الجزائر، 1974، ص 53.

الديوان، والفكرة التي أوجدت هذا القانون هي أن الداوي يعتبر أبا لجميع الجنود في البلاد فلا يحق له أن يكون أبا لأولاد آخرين، وأيضا خشية أن يستعمل موارد الدولة في الإنفاق والتوسيع على عائلة⁽¹⁾.

وكان الداوي علي قد تزوج وأسكن زوجه في منزل ملاحق لدار الحكومة*، ومن أجل ذلك تصادم مع الديوان⁽²⁾.

ويذكر ابن حمادوش: "أن إبراهيم باشا كان على سفاح سري، فلامه أصحابه، فاستظهر بوثيقة بأتهما على نكاح سري على مذهبه (الحنفي) فأمر بإفشائه، فبعث به إلى قاضي القضاة بالجزائر ليشهره فتلقيه قاضي المواريث، شيخنا ابن ميمون فأخذه وأعلنه، وليس شأنه ذلك ولكن أراد التقرب بذلك، ولم أدر كيف كتب ولما صنع، إنما بلغني"⁽³⁾.

وخلاصة القول أن المصاهرة بين العثمانيين والسكان المحليين سواء الشيوخ أو الأعيان أو العائلات المتفندة العلمية والحرفية وهلم جرا، كانت سياسة ناجعة سلكها العثمانيون وذلك قصد إحلال الأمن، والتقرب من فئات المجتمع التي لها وزنها وتأثيرها على المجتمع ككل، وقد هيأت هذه المصاهرة الظروف الداخلية لصالح العثمانيين لتشكيل حكومة وطنية بإمكانها الصمود أمام الأخطار الخارجية والداخلية. المتمثلة في القبائل الغير متعاونة. لكنهم لم يستغلوا الأوضاع لصالحهم بل وضعوا وسائل من شأنها أن تزيد التباعد بين فئات المجتمع⁽⁴⁾. وبالنسبة للمرأة فكانت الوسيط بين الطرفين ولم تكن لها سلطة على نفسها في اختيار زوج لها بل كانت أداة بين الرجال العثمانيين والمحليين.

(1) أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791 سيرة، حروبه، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده، م.و.ك، الجزائر 1986، ص 165.

* هذا المنزل لا يزال موجود الآن وهو مقر إدارة الأرسيفيك رئيس الكنيسة في الجزائر ويقع تجاه قصر الشتاء والكنيسة الكبرى، نقلا عن أحمد توفيق المدني، المرجع السابق ص 165

(2) نفسه، ص 165.

(3) عبد الرزاق بن حمادوش، رحلة ابن حمادوش الجزائري أو لسان المقال في التنبؤ عن النسب والحال، تحقيق، أبو القاسم سعد الله، ط 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003، ص ص 236، 237.

(4) محمد فارس خير، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي، ط 1، د.ع.ح.ن، بيروت، 1992، ص 206.

المبحث الثاني: أثر الزواج المختلط على سياسة البلاد.

سبق وأن أشرنا أن الأتراك العثمانيين عندما استقروا في أيلة* الجزائر، أدركوا أن بقاءهم في البلاد لا يتم إلا بتوطيد علاقاتهم بالأهالي، والتقرب منهم عن طريق المصاهرة مع الأسر المحلية ذات المال والجاه والخطوة في المجتمع .

وكنتيجة لذلك الانصهار، وبعد عدة أجيال من الوجود العثماني في الأيلة ظهرت فئة جديدة من المولدين العثمانيين (من أمهات جزائريات)⁽¹⁾. وقد أطلق على أبناء الإنكشاريين* الذين تزوجوا بنات محليات لقب (قول أوغلي)* أي ابن العبد⁽²⁾.

وهنا يطرح السؤال كيف أن الأتراك العثمانيين يعتبرون أبناء التركي والعريية أو البربرية كتركي ناقض أو كالحر الثاني ويسمونه كرغليا⁽³⁾.

هناك تفسير لهذه القضية قدمه الدكتور سعد الله، حيث يُرجع السبب إلى ظاهرة الانغلاق التركي في الجزائر. ذلك أن حكام الجزائر العثمانيين كانوا من خارج ولم من بينهم من ولد في الجزائر أو تربى بين أهلها أو تعلم لغة أهل البلاد وعاداتهم وأخلاقهم. وكانت وظيفتهم تفرض عليهم أن يكونوا عزابا مدى الحياة استعدادا للمهمة العسكرية التي أعدوا من أجلها، فإذا تزوجوا من أهل البلاد فإن نتائجهم يعتبر أدنى منهم مرتبة، ومن ثمة لا يمكنه أن يصعد إلى الحكم والمسؤولية، فهو كرغلي* (أي ابن عبد وليس حر)، وإذا كان نتاج

* مصطلح أيلة هو أكبر التقسيمات الإدارية في الدولة العثمانية، فقد كانت الدولة مقسمة إداريا إلى أيلات، والأيلات إلى سناحق والسناحق إلى أفضية والأفضية إلى نواحي والنواحي إلى قرى نقلا عن سهيل صابان، المرجع السابق، ص 45

(1) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي المرجع السابق، ص 144 — 145

* وهم القوات الجديدة بالتركية (بنيجري) ومصدرها دراويش الحاج بكداش الولي الذي لقبهم بهذا، وهي فيالق عسكرية تكونت من أبناء رعايا الدولة الذين تم جمعهم بين السادسة والخامسة عشر من عمرهم من أوروبا، وهناك رأي مخالف وهو أن أفراد الإنكشارية كانوا أولاد المسلمين، نقلا عن سهيل صابان، المرجع السابق، ص 41

* هناك اختلاف في كتابة كلمة قول أوغلي، قرغليا، كرغلي إلا أنها تؤدي نفس المعنى وهو أبناء العثمانيين من أمهات جزائريات، بتصرف.

(2) عزيز سامح أتر، الأتراك العثمانيون في شمال إفريقيا تر، محمود علي عامر ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1989، ص ص 133 — 134 .

(3) عبد الحميد بن أبي زيان بن اشنهو، دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر، الطبعة الجيش الشعبية، الجزائر، 1972 ص ص 221 — 222

العثمانيين الأجانب على هذه الشاكلة فأولى وأحرى من كان من السكان الأصليين أو مهاجري الأندلس⁽¹⁾. وبهذا يكون العثمانيون بالجزائر قد ضربوا حصارا شديدا حول أنفسهم وحول المواقع القوية في أيديهم حتى لا يتسرب إليها بقية السكان ولا يرقى لها الطامحون في الحكم منهم⁽²⁾.

ويوافقه الرأي صالح عباد الذي يرى أن طائفة الإنكشارية عملت على الحفاظ على نقاوة طائفتها التركية، وكان بقاؤهم مرهونا بالتجنيد من الأراضي العثمانية، نظرا لعدم اعتراف الأتراك بأبنائهم من النساء الجزائريات وبهذا نجد أن العبيد من غير الأتراك كان بإمكانهم أن يصبحوا إنكشاريين⁽³⁾.

1) مراكز إقامة الكراغلة ووضعتهم في البلاد:

تواجدت هذه الفئة من المولدين بوجه خاص في المدن الهامة التي كانت تتميز بها الحاميات التركية مثل، بجاية وتلمسان وعنابة وقسنطينة، ومستغانم، والمدينة، والبليدة، وبسكرة ومعسكر، وكانت وضعيتهم متميزة، نظرا لانتسابهم إلى العنصر التركي المسيطر على البلاد⁽⁴⁾.

ويقول حمدان خوجة: "هؤلاء الكراغلة كثيرون العدد، موزعون على كامل أنحاء الأيالة، وخاصة المكان المسمى وادي الزيتون الواقع في سفح جبل فليس، ويعتقد أنه يوجد منهم في هذا المكان وحده ما بين 8 و10 آلاف محارب ومعظمهم كان يأخذ أجرا من الدولة⁽⁵⁾. ولكن هناك من مارس وظائف إدارية متوسطة والتجارة، ومنهم من حصل على امتيازات وانضم إلى الجيش الإنكشاري⁽⁶⁾.

كما أصبح الكراغلة مع مرور الوقت يقومون بدور الوساطة بين الحكام والمحكومين ولعبوا دورا بارزا في تاريخ البلاد، خلال العهد العثماني. وقد عاش الكراغلة في بداية

(1) أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص ص 144 — 145 .

(2) نفسه، ص ص 144 - 145.

(3) صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي 1514 — 1830، م.و.ك، الجزائر، 1987، ص 312.

(4) F.DIEGO DE Haedo, Op-Cit, p85

(5) حمدان بن عثمان خوجة، المرأة، تقديم وتعليق وتحقيق، محمد العربي الزبيري، ط.م.و.ك، الجزائر، 2008، ص 117

(6) صالح عباد المرجع السابق، ص 357.

عهدهم كبقية العناصر العثمانية، فكانوا يتمتعون بنفس الحقوق والامتيازات، التي تمتع بها آبائهم⁽¹⁾.

(2) الكراغلة والحكم في الأقاليم :

رغم أن موضوع البحث يعد من المواضيع الاجتماعية إلا أن الحديث عن هذه الفئة من المجتمع يسوقنا للحديث عن وضعيتها السياسية. حيث أن مسألة الصراع الذي احتدم بين الآباء الوافدين والأبناء المولودين في مطلع القرن 17. والذي تمحور حول الحكم ضد فئة الكراغلة. ذلك أن الصراع انفردت به إيالة الجزائر دون غيرها⁽²⁾.

وقبل هذا الصراع ذكر "ها يدو" في كتابه تاريخ ملوك الجزائر انه خلال القرن 16م عوامل الكراغلة على قدم المساواة مع عناصر الأوجاق وأبيح لهم شغل جميع المناصب بما فيها الوالي ومن بينهم الكراغلي الشهير حسن بن خير الدين الذي حكم الجزائر ثلاث مرات في (1545 - 1551م) و(1557 - 1561م) وأخيرا (1562 - 1567م)⁽³⁾.

كما يذكر صالح العنتري أن محمد بن فرحات باي الذي تولى الحكم في بايلك الشرق ما بين (1558م - 1608م) لم يكن من أصل تركي وإنما هو عربي من النبلاء في قسنطينة سلك سياسة سلفه جعفر باي فيما يخص التقرب من القبائل وزعمائها ويبدو أن طبيعته هذه فسرها القبائل بالضعف فرفضت أن تدفع له الضرائب المطلوبة منها في الأوقات المناسبة وهذا ما جعله عاجز عن دفع أجور جنود الميليشيا وتوفير نفقات الحروب وكان ذلك من المشاكل والصعوبات التي عاناها خلال حكمه⁽⁴⁾.

لكن الأمور تغيرت بعد أن أصبحت مدينة الجزائر في حالة ثورة دائمة بسبب الغنى وامتلاء خزائن الرياس والأهالي بالمال والمجوهرات، حيث شهدت المدينة حالة ثورة دائمة فلما طالب الانكشاريون بانتزاع إدارة الخزانة للباشا استغل الكراغلة حالة الفوضى⁽⁵⁾. وقاموا بثورة سنة (1630م) للاستيلاء على الحكم ووضع أفراد تلك الطبقة مشروعا يهدف

(1) أرزقي شويتم " المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني"، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر 2005، ص 120

(2) فاطمة الزهراء قشي، في عهد صالح البايات، المنشورات، ميديا بلوس، قسنطينة، 2005، ص 48

(3) Haëdo histoire des rois OP. CIT , PP 82- 81

(4) محمد صالح العنتري، المصدر السابق، ص 32

(5) عزيز سامح ألتر، المرجع السابق، ص 356.

إلى طرد الأتراك (آبائهم وأجدادهم) الذين كانوا يحكمون البلاد وعندما علم الأتراك بهذه المناورة فكروا لإحباط المشروع وكان الكراغلة في زيّ نسوي حاملين أسلحتهم والذخيرة في شكل متاع مستورد، إلا أنهم فشلوا في ذلك⁽¹⁾.

ويقول صالح العنتري أنهم قاموا بثورة دموية بالقصبة وفجروا جزءا منها أتى على حوالي 500 منزل و600 قتيل، وكانت النتيجة لصالح الانكشاريين الذين قاموا بعزل حسن باشا، وتعويضه بيوسف باشا (1633م)⁽²⁾.

وكانت نتائج تلك الثورة وخيمة على الكراغلة فإذا كان الأتراك غير قادرين على طرد ذريتهم من البلاد إلا أنهم قرروا عدم السماح لهم بشغل المناصب السامية كما عزل كل من كان يشغل منهم وظيفة حساسة في ذلك الحين وقد استمر حقد الأتراك على فلذات أكبادهم مدة قرنين تقريبا لكن ذلك لم يمنعهم من تقاضي رواتبهم خوفا من سخطهم⁽³⁾.

ويضيف حمدان خوجة أمرا غريبا حيث كان الكراغلة الذين يتقاضون أجورهم شهريا من الدولة كما كانت العادة صارت جماعة من اليهود تسبق لهم رواتبهم السنوية مقابل وكالة تسمح لهم بأن يقبضوا باسمهم ما لهم من الدولة⁽⁴⁾.

يرى سعد الله أنه لو نجح الكراغلة في هذه الثورة لتغير وجه التاريخ الجزائري و لوجدنا الحكم فيه أكثر التصاقا بالشعب وأكثر اهتماما بمصالحه وأكثر ارتباطا بقيمة الحضارية بل لتوقعنا إن يتحول الحكم شيء فشيء إلى حكم وطني مستقل⁽⁵⁾.

كما يتضح لنا مما سبق أن الحكام العثمانيين كانوا يرفعون أبنائهم في الجزائر إذا كانوا من أسيرات مسيحيات ويخفصونهم إذا كانوا من أمهات مسلمات كما أن هؤلاء الحكام أصبحوا يثقون في اليهود أكثر من ثقتهم بأبنائهم وهذا ما جعل نفوذهم يتقوّ وامتيازاتهم تتزايد بل شكلوا خطراً داخلياً للأليالة في أواخر العهد العثماني.

(1) حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 116.

(2) محمد صالح العنتري، المصدر السابق، ص 36

(3) حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 117 .

(4) المزيد من التفاصيل أنظر، حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق ص 117 ، 118 .

(5) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ج1، ص 154 ، 155.

ويرجع السبب في ذلك الفشل أن الكراغلة لم يتخيروا الوقت المناسب كما أنهم لم يتلقوا الدعم المنتظر من الرياس⁽¹⁾.

ويذكر احمد شريف الزهار أن صالح باي كان وراء مقتل الخزناسي محمد باشا. وبنت هذا الخزناسي كانت تحت حسين باشا قبل ولايته و لما مات والدها و تولى حسين باشا الحكم طالبته زوجته بقتل صالح باي لتأخذ بثأر أبيها وألحت عليه في ذلك وكان لها ذلك حيث أمر بعزله ووُلي بايا جديدا وأمره بقتله. وفي سنة (1792م) قتل صالح باي قسنطينة⁽²⁾.

كما قد يكون مقتل صالح باي لسبب نفوذه والسمعة الحسنة في أواسط الجماهير لأن أهالي قسنطينة حزنوا بعد موته ومن ذلك اليوم حسب ما تقوله الأسطورة ارتدت نساء قسنطينة الحجاب الأسود⁽³⁾.

كان هناك باي اسمه قارة مصطفى باي حكم سنة (1818م) وهو تركي قديم بقسنطينة مكث ثلاثين يوما في ولايته فقط ثم جاء الأمر من الداى عمر باشا بقتله فمات، ويقال أنه قرب إليه اليهود والنساء، وجمعهم في قصره وأخذ يتعاطى معهم الشرب، والدعارة تاركا أوضاع البايليك للإهمال⁽⁴⁾.

أما يحي آغا شغل منصب الخزناسى لعمر باشا الداى الذي سبق ذكره، ثم قائدا لبوفاريك، وعندما تولى الداى حسين باشا (1818م) سمحت له صداقته للداى الجديد إلى أن يرقى لمنصب قائد للجيش، وزادت صلاته توثقا بالداى حسين بعد أن زوجه ابنته الكبرى وبذلك عظم شأنه⁽⁵⁾.

(1)عزيز سامح أتر ، المرجع السابق ص 157

(2) أحمد شريف الزهار ، مذكرات الحاج أحمد شريف الزهار ، تحقيق أحمد توفيق المديني، ط2 ، ش. و . ن . ت ، الجزائر، 1980، ص64.

(3) عمار عموره، الجزائر بوابة التاريخ ما قبل التاريخ إلى 1962-الجزائر عامة-، دار المعرفة، الجزائر، ج1، 2006.

(4) محمد صالح العتري، المصدر السابق، ص85

(5) أبو عمران الشيخ وفريق من الأساتذة ، المرجع السابق، ص ص 6،7.

بالإضافة إلى ذلك فكثرة التمردات والعصيان التي قام بها الكراغلة طول عهد الدايات في العاصمة وبايليلكات الشرق والغرب، تدل على عجز الأتراك الحاكمين على الذوبان في العنصر الأهلي واندماجهم اندماجا كاملا، وتصور الناس لهم كأنهم أجانب غرباء على البلاد⁽¹⁾. وفي القرن (19م)، أصبحت المهام الإدارية من اختصاص الكراغلة كما كانوا العنصر المسيطر من حيث النفوذ والعدد⁽²⁾. حيث تؤكد مصادر أن عدد الكراغلة في أواخر العهد العثماني كان يفوق عدد الأتراك ويعتقد أنه في سفح جبل فليسة يوجد منهم ما بين 8 و10 آلاف محارب⁽³⁾.

(1) يحي بوعزيز ، الموجز في تاريخ الجزائر ، ط 2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009، ج2، ص 49

(2) ناصر الدين سعيدوني ، النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني، ط 2، م . و . ك، الجزائر، 1985، ص34.

(3) حمدان بن عثمان خوجة ، المصدر السابق ، ص 117.

المبحث الثالث: نماذج لأبرز الشخصيات النسوية.

رغم الإحساس المشترك بين الجزائريين والعثمانيين، وكذا التضامن والتحالف بينهم ساعة الخطر المشترك، فإن هناك العديد من الثورات المحلية وقعت في العهد العثماني. وكانت الثورات متعددة الوسائل والغايات فبعضها كان له طابع ديني، وبعضها الآخر. كان له طابع سياسي، وبعضها كان له دوافع اقتصادية، كما أن البعض كان نتيجة تمرد شخص حبا في المغامرة أو طمعا في الجاه والسمعة⁽¹⁾.

ومن هذه الثورات ما كان قصير المدى محدود المكان، وما كان طويل المدى واسع المجال. بالإضافة إلى أن الثورة كانت أحيانا ثورة طريقة صوفية بأسرها أو ثورة قبلية كاملة، وأحيانا كانت ثورة طبقة اجتماعية مثل ثورة الكراغلة (1630م)، وأحيانا ثورة جهة وأخرى ثورة عائلة كما تجدر الإشارة إلى أن الثورة الواحدة قد تكون متعددة الدوافع والأهداف⁽²⁾.

ورغم الحصار الاجتماعي المخطط على المرأة والظروف الشاقة والمزرية التي فرضتها عادات وأعراف بعيدة كل البعد عن الدين والرقى والحضارة وقفت المرأة الجزائرية إلى جانب أخيها الرجل في كل ميدان، وخاضت معه معارك البناء الحضاري في أوسع مجالاتها داخل المنزل وخارجه وناضلت، وتحملت مشاق والأتعاب⁽³⁾.

كما ظهر بين الرجال أبطال، وزعماء، وعظماء ظهرت بين النساء بطلات وزعيمات، كانت لهن شهرة ومكانة بفصل جهودهن وأعمالهن⁽⁴⁾.

(1) أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص 210.

(2) نفسه، ص 210.

(3) يحي بوعزيز المرأة الجزائرية وحركة الإصلاح النسوية العربية، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 24، 25.

(4) نفسه، ص ص 25.

1- تقلد المرأة لمنصب الحكم المباشر وغير المباشر:

برزت في الشرق الجزائري في العهد العثماني. إمرأة عظيمة وهي أم هاني شيخة عرب الصحراء. وهي ابنة باي قسنطينة رجب باي* (1666-1672م) وزوجة شيخ العرب أحمد بن الصخري بوعكاز لصاحب ثورة (1637م) والتي ورثت مشيخة العرب من زوجها المتوفي⁽¹⁾.

ويبدو أن هذه السيدة أم هاني استطاعت أن تسيطر على حكم الصحراء الشرقية للجزائر أزيد من نصف القرن من حوالي سنة (1972م) إلى (1724م) أعلنت خلالها الحرب على السلطة العثمانية بقسنطينة انتقاما لمقتل والدها وقد ألحقت العديد من الهزائم بالباي حسن بوقمية (1713-1735م)، قبل أن يتمكن من إخماد ثورتها عن طريق سياسة المصاهرة، إذ تمكن من مهادنتها وطلب الزواج من إحدى بناتها وحقت ذلك سنة (1724م)⁽²⁾. كما كانت هذه الفترة فترة حروب بين هذه الأميرة وأتباعها وبين أسرة زوجها على المشيخة.

علما أن الباي رجب قد لجأ إلى سياسة المصاهرة الداودة بوعكاز لكسب مساندتهم ولهذا السبب زوج ابنته أم هاني للقيدوم، ثم بعد مقتله تزوجها أخوه أحمد ثم قامت مقام زوجها القتل وقادت الثورة مدافعة عن مصالح قبيلته⁽³⁾.

إلا أن الانتصار دائما لقواتها ولن تتخل أم هاني عن زعامتها على الصحراء إلا بعد أن تقدم بها السن وعجزت عن مواجهة خصومها فانسحبت مع بعض أتباعها إلى منطقة العلمة، قرب سطيف. وقد التقى بها الرحالة (peyssonnel) سنة 1725م، وقال عنها: "عندما وصلنا إلى مدينة سطيف تشوقت لرؤية امرأة بهذه الشهرة السياسة والعسكرية من العجب أن نجد في هذه الأمة امرأة تنزع بهذه القوة... ذهبت إلى دوارها فوجدتها تجلس في خيمتها مع أعيان العرب... إنها امرأة عظيمة أنيقة في الستين من عمرها... كانت ترتدي

* هو عمر محمد باي بن فرحات كانت سيرته مليحة واقف في حقوق الناس ، وهو الذي بنى (كذا) في قسنطينة جامع يسمى بجامع رحبة الصوف، نقلا عن: محمد صالح العنتري، تاريخ قسنطينة المصدر السابق ص 48.

(1) جميلة معاش، "نماذج عن مكانة المرأة في الجزائر خلال العهد العثماني"، مجلة التراث، العدد 8، قسنطينة ، 1955، ص 23.

(2) نفسه، ص 23 .

(3) نفسه، ص 23.

الزري المغربي برنس وعمامة مزينة بحلة من ذهب إن كل شيء يوحي بأنقتها ونظافة خيمتها"، ولم يكتف الرحالة بوصفها بل شبهها بإحدى سيدات أوربا «madame de Vantadou»⁽¹⁾.

ويقول أن الأميرة أم هاني كانت فارسة ماهرة تقود الفرسان إلى المعارك بنفسها وكان سلاحها الوحيد هو عصا توجه بها جيوشها .

وعند استقرارها بمنطقة العلمة أظهرت الكثير من الحكمة السياسية إلى جانب القوة العسكرية، تمكنت من تكوين علاقات جيدة مع شيوخ ومنهم الشيخ بوزيد شيخ أسرة المقراني حكام بجانة وزعماء غرب بايليك قسنطينة وبذلك أثبتت جدارتها في الزعامة والحكم، فكانت شبيخة بنت الشيوخ وحاكمة تسوي نفسها بباي قسنطينة ويقرأ لها الجميع ألف حساب⁽²⁾.

وإذا كانت الشبيخة أم هاني قد فرضت وجودها علنا وحكمت إقليميا من بايليك قسنطينة حكما مباشرا فإن عددا من النساء الجزائريات قد حكمن بصفة غير مباشرة وسيرن دقة الحكم من وراء أزواجهن ومن هؤلاء نذكر :

- صايمة: زوجة رئيس طائفة الرياس في الجزائر أرناؤوط مامي، كانت لها مراسلات مع دوق ودوقة توسكانيا في الفترة (1577-1590م)، وكانت لها علاقات بكبار الشخصيات ولعبت دورا في القضايا الاجتماعية في الدولة الجزائرية كالاهتمام بقضايا الأسرى⁽³⁾.

- عزيزة باي: زوجة رجب باي، والد أم هاني، وهي صاحبة الدار التي تحمل اسمها: دار عزيزة بجوار جامع كتشاوة وكانت وراء سياسة زوجها الذي بنى لها القصر المعروف⁽⁴⁾.

- الداخجة: ابنة محمد بن قانة، وزوجة الباي عبد الله (1804-1807م) والتي أثبتت كفاءتها في تسيير شؤون باليك قسنطينة إلى جانب زوجها ويقال أن أعضاء المخزن كانوا يستشيرونها في أمور البايليك ويأخذون بنصائحها التي تكون دائما صائبة⁽⁵⁾.

(1) J.A Peyssonnel, voyage dans les régence de Tunis et d'Alger, édition la découverte 1, place Paule - Painlevé, Paris v^e, 1978, P 219.

(2) جميلة معاش، المرجع السابق، ص 24 .

(3) إبراهيم سعيود، "علاقات الجزائر بالدويلات الإيطالية خلال القرنين 17-18م" رسالة ماجستير، إشراف مولاي بلحميسي، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1999-2000، ص ص 49،50.

(4) محمد صالح العنتري، المصدر السابق، ص 48.

(5) جميلة معاش، نفس المرجع، ص 24

وقد أكد صالح العنتري على تأثير هذه المرأة في حكم زوجها كما ذكرنا سابقا. وأشاد الشريف الزهار بقوة هذه المرأة بقوله: "...وكان جزاء الباي عبد الله أن قتله أمراء الجزائر بعد موت مصطفى باشا، وعذبوا زوجته حتى ماتت تحت العذاب وذلك لتظهر لهم أموال عبد الله باي ويحكى عن هذه المرأة أنها كانت من أحسن النساء زمانها، وكانت لها شجاعة كبيرة"⁽¹⁾.

2- بطلات من بايلكي الشرق والغرب :

اتحمت المرأة الجزائرية ميدان المعركة، وشاركت تلقائيا في الدفاع عن أمن وحرمة ديارها في حضور الرجل وغيابه وقد سجل لنا الرحالة بيسونال الذي زار الجزائر سنة 1725م مثالا رائعا عن بطولة إحدى فتيات الجزائر وهي علجية بنت بوعزيز بن ناصر الحنانشي التي أنجذت أباهما عندما هاجمه الأتراك سنة 1724م، وألحقوا به الهزيمة، فركبت حصانها ونادت النساء قائلة أنا العلجة بنت بوعزيز بن ناصر، وعلى من يريد أن يفعل مثلي أن يتبعني، وعرة على عنقها ونهزت حصانها فتارت حمية المنهزمين الذين تجمعوا ولاحقوا جنود الأتراك واستردوا منهم وسلبوه وأسروا خليفة الباي وقتلوا البعض⁽²⁾ وقد خلد أحد شعراء الملحن بطولة هذه المرأة الشجاعة في قصيدة طويلة نذكر منها:

طاحوا اليوم سادات في الحروب أبدان	أهل العلم يقرأوا من الحمد للبقرة
يندهو إلى شياخ القوممان	بنت بوعزيز سيدة الرجالة
ركبا على زرقا تنظمي فرخ الجان	تسبق الغزال تشطنه تزيد في لغواط
سيد بوعزيز صد عاكم البارود	يوم الطراد مكفوخ في نار شعالة ⁽³⁾

وقد أعجب الرحالة بيسونال بهذه أنه شبهها بجاندارك قومها وقال: (حقا إن لكل أمة جاندارك)⁽⁴⁾.

وفي بايليك الغرب لمع اسم "لالا بدرة"* وهي ابنة أخ الباي محمد الكبير وقد كانت إمرة خارقة لزمانها وعظيمة الشأن.

(1) أحمد شريف الزهار، المصدر السابق، ص 86-87

(2) يحي بوعزيز، المرأة الجزائرية، المرجع السابق، ص 26.

(3) Charles Ferand, "Les harars seigneurs des hanancha" in R.A., N°18, 1874, pp212-214.

(4) سعد الله، تاريخ الجزائر، ج 1 المرجع السابق، ص 217.

* لالا، بالعثمانية تطلق على المدرسة، ومن يعتني بالأمراء. نقلا عن سهيل صابان، المرجع السابق: ص 196. وهناك مدلول آخر للالة: كلمة تركيكية، واللفظ العربي لها هو شقائق النعمان وهي زهرة تحظى بشرف وقدسية من الأتراك، نقلا عن بيمينة درياس السكة الجزائرية في العهد العثماني، ط، دار الحضارة، الجزائر، 2007، ص، 329.

ويقال أنها تأثرت بعمها الباي محمد الكبير، فكانت تهتم بالسياسة وبجياة الناس، وكانت تتابع جلسات المجلس الأعلى أو اجتماعات الوزراء والإداريين خفية تزوجت حسن باي وهو آخر بايات وهران حكم سنة (1817م-1831م) وكانت بلبس زي الرجال، وتذهب للصيد ولا ينتقدها أحد، كما أنها فارسة بارعة تجيد استعمال السلاح بمهارة أشجع الجنود، وهذا ما جعلها دوماً تحمل مسدساً أو يطقاناً، وبالتالي كان يسهل التعرف عليها بين كل النساء⁽¹⁾.

3- موقف المرأة من التزول الفرنسي في البلاد:

روى سيمون بفايفر الألماني الذي عاصر وقائع دخول الفرنسيين. كيف شاركت النساء في المعركة الفاصلة يقول: "حتى اللواتي رافقن الرجال إلى أرض المعركة، أصبحت في حاجة إلى مساعدتي الطبية"⁽²⁾.

وقد تحدثت عن السيدة خيرة التي تبلغ من العمر ثمانية عشرة سنة، وكيف لحقت بزوجها إلى أرض المعركة حاملة على ظهرها قربة ماء، وكيف ساعدت زوجها الذي أصيب برصاصة تاعدو القاتلة، فأصيبت هي نفسها برصاصة في ظهرها. ويروي أنه تألم لعدم استطاعته معالجتها، لأن شفاءها مستحيل، وكانت نهاية هذه السيدة المقاومة الموت⁽³⁾.

وبشهادة بفايفر عن هذه السيدة المجاهدة تدحض بعض الآراء المصحفة في حق المرأة الجزائرية في ذلك العهد، ومن بينهم وليم سبنسر الذي يقول: (...) ولم تكن هناك بطلات في درجة ديودو أو سوفو... وأنهم كانوا عبارة عن قعيدات الكانون اللواتي تدافع عنهن الأسلحة والسنن الجزائرية⁽⁴⁾.

والأكيد أن ما تقدم من نماذج حول نساء الجزائر في العهد العثماني هو القليل من الكثير الذي يحتاج إلى البحث والكشف عنهن ليدخلن صفحات التاريخ الجزائري المشرق في البطولات والجهاد.

(1) فاطمة بخاي، إحكى لي وهران، ترجمة إنعام بيوض، منشورات القارئ، الجزائر، 2002، ص ص 36-40

(2) سيمون بيفافر، المصدر السابق، ص 91.

(3) نفسه، ص ص 94-95

(4) وليم سبنسر، الجزائر في عهد "رياس" البحر، تعليق وتقديم، عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006، ص 106

الفصل الثاني: المرأة ودورها الاجتماعي

- المبحث الأول: مكانة المرأة ودورها في الأسرة
- المبحث الثاني: أوقاف المرأة وأثرها في التكافل الاجتماعي
- المبحث الثالث: مشاركة المرأة في الحياة الاجتماعية

المبحث الأول: مكانة المرأة ودورها في الأسرة.

إن البنيات الاجتماعية في الجزائر لا تختلف اختلافا كبيرا من منطقة لأخرى، بل إنها تكاد تكون واحدة بالنسبة لجميع السكان، وسواء في الشرق أو الغرب، في الشمال أو الجنوب، فإن القانون أو الأسرة هي الخلية الحية التي تساهم في تكوين الجماعات وتوسيعها⁽¹⁾.

وتكون المرأة في الأسرة إما أمًّا أو أختا أو بنتا، فتساهم في توجيه الأسرة، وتنظيمها، رغم أن ذكرها لا يرد إلا مقترنا بالرجل بوصفها قريبة أو خادمة له، ولما كانت كذلك فقد منحها الإسلام حقوقها وحدد واجباتها، وأزال تلك الفوارق التي بينها وبين الرجل إلا بالعمل الصالح، بل لم ينظر لكونها أمة أو حرة، بل نظر إلى دينها وخلقها ودورها⁽²⁾. حيث قال الله تعالى: "وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمَنَّ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ"⁽³⁾.

وتبرز مكانتها من خلال وصايا الرسول "ص" للرجال، فقد أوصاهم بالنساء خيرا في حجة الوداع. وقبل الخوض في الموضوع نتساءل عن أصناف الزوجات في المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني، لأن الزوجات في كل المجتمعات لسن صنفًا واحدًا وإنما أصناف متعددة فهناك صنف يقوم على الانتماء الجغرافي⁽⁴⁾.

وآخر على الانتماء العرقي، أو الاجتماعي أو الديني، أو المذهبي، أو العمل، وآخر على الثقافة السائدة، وكل منها يحمل ثقافة خاصة به، قد تختلف وقد تنسجم مع ثقافات الأصناف الأخرى، ونظرا للدور الذي تؤديه الزوجة في الأسرة، فإن شخصيتها وثقافتها تنعكسان بالطبع على الأسرة ذاتها من من زوج وأولاد⁽⁵⁾.

(1) محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة ما بين 1792 و 1830، ط2، م.و.ك، الجزائر، 1984، ص 45.

(2) مريامة لعناني، "الأسرة الأندلسية في عصري المرابطين والموحدين"، رسالة ماجستير، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوري قسنطينة، ص 66.

(3) سورة البقرة، الآية: 221، برواية ورش عن نافع.

(4) حمّاش خليفة، "الأسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني"، دكتوراه دولة، إشراف فاطمة الزهراء قشي، قسم التاريخ، جامعة قسنطينة 2006، ص 104.

(5) حمّاش خليفة، المرجع السابق، ص 105.

1- أصناف الزوجات في مجتمع أيلة الجزائر:

وبما أن مدينة الجزائر كانت لها خصوصية في العهد العثماني من حيث احتوائها على خليط من الأجناس الوافدة من داخل الأيلة أو خارجها، فسنعرضها بالدراسة لمعرفة أصناف الزوجات فيها خلال العهد السابق ذكره.

1-1- الزوجات الوافدات:

يقصد بالزوجات الوافدات (من غير الأندلسيات اللاتي لهن حالة خاصة، وفئة الإمام) الزوجات اللاتي يعدن بأصولهن إلى مناطق خارجة عن المدينة، سواء داخل الأيلة أم خارجها، وهذه الظاهرة الاجتماعية داخل المدن الكبرى في القديم كما في الحديث، وهذا يدل على مستوى الإنفتاح على المحيط المحلي والخارجي. وسنعرض نماذج عن هؤلاء النساء في جدول.

* نماذج من الزوجات الوافدات إلى مدينة الجزائر من مناطق داخلية⁽¹⁾:

المصدر	التاريخ هـ	اسم الزوجة	اسم الزوج
ع 6: 1: 12:	984	زهراء بنت أبي العباس أحمد التفسي	الشيخ أبو الحسن علي بن محمد
ع 1: 2: 26/26:	1199	فاطمة بنت الحاج شعبان العناني	عثمان خوجة بن محمد
ع 2: 5: 24/42:	1201	بختة الشرشالية	الحاج المختار العشاش رئيس الفرقاطة
ع 2: 6: 19/14:	1208	خديجة بنت محمد رئيس البجائي	سليمان قائد المرسى بباب الجزيرة ابن محمد التريكي

* نماذج من الزوجات الوافدات إلى مدينة الجزائر من خارج مناطق الأيلة⁽²⁾:

المصدر	التاريخ هـ	اسم الزوجة	اسم الزوج
ع 1: 1: 10/17:	992	عزيزة بنت سامي التركي	حاج سليمان (الباش آغا)
ع 11: 3: 29:	1123	الحاجة فاطمة بنت أحمد السلاوي	؟
ع 1: 50:	1195	قمورة بنت الحاج حسن الشامي	الحاج محمد بن عبد الرحمان بن طالب
ع 4: 2: 47:	1208	شاشة المغربية بنت بن لونة	عبد الرحمان بن الحاج محمد بن الطالب

(1) نفسه، ص 106.

(2) حماش خليفة، المرجع السابق، ص 107.

1-2- الزوجات المهتديات: العلجيات والمعتقات:

ويقصد بهن الزوجات اللاتي كن على دين آخر غير الإسلام ثم دخلن في الإسلام وصار لهن حقوق فيما يتعلق بالزواج والصدّاق والميراث، وكانت هؤلاء الزوجات تنتمين إلى فئتين: إحداهما فئة العبيد التي تمثلها الأسيرات الأوروبيات والإماء الإفريقيات، والثانية فئة النساء الحرائر من اليهوديات بشكل خاص. هذه الأخيرة التي حضيت بوضع إيجابي في شمال إفريقيا، ومردّد ذلك أساساً لسيادة الإسلام واحتكاك هذه الفئة بالمسلمين والتأثر ببعض عاداتهم، حيث أصبح بإمكان الزوج أن يجمع بين زوجتين أو أكثر، وصارت الأم تحضن أولادها بعد وفاة زوجها⁽¹⁾.

وبالنسبة للزوجات من الأسيرات الأوروبيات يشار إليهن بلفظ "العلجة" أو "العلجية" كأن يقال: فاطمة العلجية بنت عبد الله زوجة إبراهيم بلكباشي بن محمد⁽²⁾. وأما الزوجات المهتديات اللاتي هن من الإماء الإفريقيات فكان يشار إليهن بلفظ: "عتيقة" أو "معتقة"، ويقصد بذلك عتقها من العبودية وإلحاقها بحرائر المسلمين، ويقال "فاطمة بنت عبد الله عتيقة مريم كباشة زوجة محمد بن سعيد الكباش"، و"فاطمة بنت عبد الله عتيقة عزّ الدين بن حسين".

وللإشارة كانت لفظتا (علجة أو علجية) و(عتيقة أو معتقة)، يأتي في حالات مقترنة بنسب أب وهمي اسمه "عبد الله" كما ذكرنا سابقاً⁽³⁾.

1-3- الزوجات المزوّجات (مكرّرات الزواج):

تعتبر ظاهرة تكرار الزواج لدى النساء - كما هو لدى الرجال - ظاهرة توجد في كلّ المجتمعات. وقد كان ذلك سبباً في تقلّب حياتهن الشخصية والأسرية، ويأتي الإشارة إليهن في سجلات المحاكم الشرعية كالآتي: "تزوَّج على بركة الله أحمد بلكباشي بن يوسف مخطوبته سكيّنة بنت السيد محمد الثيّب المتوفى عنها".

وبالنسبة لظاهرة النساء المزوّجات لم يقتصر وجودها على مدينة الجزائر وإنّما عرفت مدناً أخرى، ومنها قسنطينة حيث انتشرت بشكل واسع، فقد سجّل مثلاً: "لفاطمة بنت محمد" عشرين عقدًا بين زاجٍ وطلاقٍ، وقد سجّلت نفس الظاهرة عند "فاطمة بنت

(1) نجوى طوبال، "طائفة اليهود بمجتمع مدينة الجزائر (1700-1830 م)"، رسالة ماجستير، إشراف عائشة غطاس، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2004، ص 105.

(2) حمّاش خليفة، المرجع السابق، ص 112.

(3) نفسه، ص 113-114.

علي "بواحد وعشرين عقداً، ولكن فاطمة الزهراء قشي بينت أن تكرار الاسم وتداوله كان وراء تضخيم هذا العدد⁽¹⁾. وبخصوص نتائج ذلك التعدد بالنسبة للزوجات فبعضه يكون إيجاباً لأن هؤلاء الزوجات يستطعن العودة إلى الحياة الزوجية وبناء أسرة جديدة، وقد تتحسن أحوالهن.

أمّا سلبياً عندما يكون للمرأة التي تزوّجت مبكراً أولاد من زواجها الأول، فأوّل من يتأثر هم الأولاد، كما أنّهم يشكّلون واسطة بين الأمّ وعائلة زوجها السابق⁽²⁾.

1-4- الزوجات ذوات العاهات (المعوقات):

كانت الأمراض التي تحدث العاهات في المجتمع الجزائري في العهد العثماني من غير شك كثيرة، حيث عرفت الأيالة منذ التحاقها بالدولة العثمانية، وحتى الاحتلال الفرنسي تعاقب الأوبئة، وأصبحت ظاهرة مزمنة تتسبب في تدهور الوضع الصحي والمعاشي للسكان وهذا ما كان له انعكاس سلبي على البيئة الاجتماعية، ولم تسلم المرأة من ذلك⁽³⁾.

ويشير حمّاش خليفة إلى إخفاء الوثائق للعاهات التي تصيب النساء، باستثناء كشفه للحالتين يمكن من خلاهما تقديم إجابة جزئية عنه وتثبتان أن النساء من هذا الصنف كان الإقبال على الزواج بهن قائماً فعلاً، ومن الحالتين من تُمثّل عاهة الطرش (أو الصمم) وتتعلّق بأمنة الطرش بنت محمد زوجة لحبيب بولداس بن مصطفى التركي سنة (1733م)، أما الثانية فتمثّل عاهة العمى، وتتعلّق بخديجة الضريرة بنت عمر زوجة محمد بولداس التركي سنة (1792م). وقد يكون الدافع من وراء هذا الزواج ظروف مادية أو اجتماعية معيّنة⁽⁴⁾.

وترى عائشة غطاس أن الزواج السائد في مجتمع مدينة الجزائر هو زواج خارج نطاق العائلة "فالزواج بينت العم كان نادراً، بل هناك عوامل أخرى أهمّها الانتماء الفئوي، حيث حرصت الأسر المتنفذة على توطيد وربط علاقات طبقة بهدف الحفاظ على المصالح المشتركة⁽⁵⁾.

(1) فاطمة الزهراء قشي، الزواج والأسرة في قسنطينة في القرن 18، دار القصة للنشر، الجزائر 2007، ص 96

(2) حمّاش خليفة، المرجع السابق، ص 125

(3) فلة موساوي القشاعي، "الصحة والسكان في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي (1518-1871)"، دكتوراه دولة، إشراف ناصر الدين سعيدوني، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2003، ص 318.

(4) حمّاش خليفة، المرجع السابق، ص 135.

(5) عائشة غطاس، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830، مقارنة اجتماعية واقتصادية، طبع المؤسسة الوطنية للاتصال، الجزائر 2007، ص 362.

المبحث الثاني: أوقاف المرأة وأثرها في التكافل الاجتماعي

يعتبر الوقف من أهم مظاهر الحضارة الإسلامية، فهو أساساً يعبر عن إرادة الخير في الإنسان المسلم وعن إحساسه العميق بالتضامن مع المجتمع الإسلامي، وهو بهذا المعنى شرعة اتبعها المسلمون منذ أوائل الإسلام، ولكن بتطور الزمن تكاثرت وتعددت أوجهه وأغراضه⁽¹⁾. وفي الفترة الحديثة التي تزامنت مع الوجود العثماني تكاثرت الأوقاف بشكل مثير للانتباه. وأضحت مؤسّسة الأوقاف بوجه عام إحدى المؤسّسات الهامّة من حيث إسهامها في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية بل والإدارة أيضاً، وأضحى تسيير المدن الكبرى مرتبطاً أشدّ الارتباط بها⁽²⁾.

والواقفون في أيالة الجزائر لا حصر لهم بجنس أو طبقة أو مذهب ولذلك وجدنا فيهم الرجال والنساء، الأحناف والمالكية، الحضرة والبدو، ولعلّ الفرق الوحيد بين واقف وآخر، هو النية الحسنة والثروة، لذلك انحصر الوقف على الأغنياء ومتوسّطي الحال⁽³⁾.

1- تعريف الوقف وأنواعه:

1-1- تعريف الوقف: هو عقد لعمل خيري ذي صبغة دينية، يقوم على توفّر الواقف الذي له أهلية التبرّع بما يملك من ذات أو منفعة، على وجود الموقوف وهو المنفعة التي تصرف على سبيل الحبس، فضلاً على ما توفّر الموقوف عليه، وهو المستحقّ لصرف تلك الذات أو المنفعة⁽⁴⁾.

ولو كان مصلحة عامة كالمسجد والمدرسة والزاوية وغيرها، هذا مع اشتراط صيغة الوقف، ولو كانت الصيغة تتعلّق بمسجد أو مؤسّسة خيرية⁽⁵⁾. وبالرغم من وجود وثيقة شرعية إلا أنّ هناك تجاوزات من قبل السلطة التي لم تحترم الوثيقة الخاصّة بالوقف⁽⁶⁾.

(1) سعد الله، تاريخ الجزائر، ج1، المرجع السابق، ص 227.

(2) عائشة غطاس، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسّساتها، المرجع السابق، ص 242.

(3) سعد الله، نفس المرجع، ص 233.

(4) أحمد مريوش وآخرون، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، دار القصة للنشر، الجزائر، 2007، ص 46.

(5) أحمد مريوش وآخرون، المرجع السابق، ص 46.

(6) سعد الله، تاريخ الجزائر، ج1، المرجع السابق، ص 228.

1-2- أنواع الوقف: تتفرّع وتتعدّد، وليس من السهل حصرها، فهناك من يوقف عقارا من أراضي أو دكان أو دار، وبعضهم يوقف غلّة حقْلٍ من الحقول أو غلّة من الأشجار، أو بئرا لأبناء السبيل، وهلم جرا.

ويمكن تصنيفها في نوعين، أما الأولى فهي أوقاف خيرية، وعائداها المالية تنتفع بها الكلية المؤسسات التي وقعت باسمها، وأما الثانية فهي أوقاف أهلية، وعائداها المالية تنتفع بها المؤسسات المعنية بها، ولكن ذلك لا يتمّ إلا بعد انقراض وريثه صاحب المال⁽¹⁾.

2- المرأة والوقف:

لم يكن مجال الأوقاف كما أسلفنا مقصورا على شريحة دون أخرى إذ أسهمت فيه جميع شرائح المجتمع بما فيها النساء اللواتي كنّ يشاركن بأملاكهنّ، فالأملاك التي حبستها المرأة، هي الأملاك التي ورثتها على وجه الخصوص، سواء أكان ميراثها هذا من أبيها أو زوجها أو أخيها، وهو الشائع، أو كان من أمّها أو أبنها، وهو الاستثناء، وكانت تشتري العقار، أيضا لتحبسه⁽²⁾.

كانت المرأة في بعض الأحيان، وخلافا للرجل، تقوم بتحييس أملاكها على شرط الموت وهي مريضة، وهذا النوع من الوقف ضبطه الفقهاء، وحدّدوا أحوال وشروط جوازه، ومنها أن يكون المرض من الأمراض التي يغلب فيها الموت مثلا⁽³⁾.

ومثلما كانت المرأة تقوم بإجراءات التحييس بنفسها، وتباشر العملية بحرية وتحضر إلى القاضي، كانت تلجأ في ظروف أخرى إلى توكيل وإسناد المهمّة إلى غيرها، كالزوج أو وكيله أو إلى شخص آخر، وهذا ما تضمّنته سجلات المحاكم الشرعية⁽⁴⁾.

3- نماذج لأوقاف النساء الخيرية:

لقد أسهمت النساء في تأسيس الأوقاف لصالح الحرمين الشريفين في وقت مبكّر، وذلك حسب الوثائق التي تشير إلى فاطمة بنت محمد السنوسي سنة 1645م وعائشة بنت

(1) ناصر الدين سعيدوني، "موظفو مؤسسات الأوقاف بالجزائر في أواخر العهد العثماني من خلال وثائق الأرشيف الجزائري"، المجلة التاريخية المغربية، العدد 58/57، تونس، 1990، ص 176.

(2) ودّان بوغفالة، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لمدينتي المديّة ومليانة في العهد العثماني ط1، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، سيدي بلعباس، 2009، ص 337-338.

(3) ودّان بوغفالة، المرجع السابق، ص 340.

(4) نفسه، ص 342

حسين رئيس عام 1656م وفاطمة بنت محمد الأندلسي عام 1666م. ولاحظ أن السيدة عائشة بنت حسين رئيس حبست 1658م وقفا خيريا منذ البداية لصالح الحرمين، اشتمل على مناهما من الميراث مثلما جاء في الوثيقة: "... حبست الولية ... جمع الربع الواحد من الدار الكائنة بباب السوق مع الربع أيضا من جميع العلوي والإسطليل المستخرجين منها ... حبست جميع ما ذكر على فقراء الحرمين ... بتاريخ أواخر ذو الحجة 1067هـ ... "(1).

وأوقفت فاطمة بنت عيسى زوج المراتب غانم الغربي من تركة الزوج والإبن وقف خيري للحرمين الشريفين بالمدينة في ربيع الثاني (1089هـ/1678م)(2).

ومن خلال سجلات البايليك، سجل رقم 29: وتعود أقدم وقفية نسائية إلى سنة 1031هـ. وهي "لنفيسة بنت محمد باي، واشتملت على حانوت ونصف حانوت"، كما حبست "ميمي بنت السيد حميدة" زوجة الداوي حسين باشا لصالح جامع القايد صفر شطرا من حانوت في سوق الحاشية سنة (1242هـ/1826م)(3).

بل يلفت الانتباه أن معتقات الطبقة الحاكمة أسهمن أيضا في تحبيس أملاكهن على جامع صفر فمباركة معتقة السيد حسين باشا حبست جلسة حانوت بسوق كبير سنة 1827م(4).

وبالنسبة لأوقاف سبل الخيرات، نجد مريم بنت محمد حبست نصف دار بحومة الغرارة فوق كوشة علي سنة (1090هـ/1679م)(5).

ويشير حمدان خوجة لوقف خير من نوع آخر، يتمثل في شراء بعض الأسر الغنية لجواهر ثمينة وحلي فاخرة تعار للأيتام عند زواجهن، وللفقراء الذين لا يستطيعون الحصول عليها. يقول عنه "وتعتبر الأسر هذا التصرف، كعمل من الأعمال الخيرية ونحن نعتقد أن

(1) عائشة غطاس، الدولة الجزائرية الحديثة، المرجع السابق، ص 242-247.

(2) ودان بوغفالة، نفس المرجع، ص 349.

(3) عائشة غطاس، "إسهام المرأة في الأوقاف في مجتمع مدينة الجزائر خلال العهد العثماني"، المجلة التاريخية المغربية، العدد 86/85، 1997، زغوان، ص 99.

(4) نفسه، ص 100.

(5) عائشة غطاس، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسستها، المرجع السابق، ص 261.

الخير لا يتمُّ فقط بواسطة التصدُّق على الفقراء... ولكنَّ الخير يكون كذلك في كلِّ ما يُفْرَح الجار ويُحَدَّثُ في نفسه شعوراً بالسرور...⁽¹⁾.

ولعلَّ هذه العادة في منطقتنا هي موروث اجتماعي يرجع للعهد العثماني. من هذه النماذج لأوقاف النساء، يبرز لنا دور المرأة المساهمة في مؤسَّسات الأوقاف التي تنوَّعت خدماتها في المجتمع كـ رعاية الأبناء وهم صغار، ومساعدتهم وهم كبار، وكذا رفع مستوى العلاقات الاجتماعية داخل الأيالة، أو خارجها كأوقاف الحرمين التي تُرسلُ إلى أفراد الجالية الجزائرية المقيمة في مكَّة والمدينة، والذين تعود أصولهم لمناطق مختلفة من الوطن.⁽²⁾

ويضيف سعد الله أنَّ الوقف الذري شاع في أواخر العهد العثماني خاصَّة بين النساء، وذلك لمنع الدولة من الاستيلاء على أملاك الواقف عند وفاته أو عند انقراض نسله، ويذكر من ذلك وقفية محمد المازوني: "التي نصَّ فيها على أنَّه أوقف أوَّلًا على نفسه ثمَّ ابنته عائشة ثمَّ على ذريَّتها، وأنَّه إذا انقراض نسله تؤوَّل الوقفية إلى الجامع الكبير بالبليدة، وذلك حوالي سنة 1235هـ."⁽³⁾

أمَّا ودَّان بوغفالة فيطرح إشكالاً ارتبط ظاهره بالوقف الأهلي لنساء المدينة ومليانة حيث لم يعثر من خلال الوثائق على تحييس على الآباء والأمَّهات رغم جوازه شرعاً! ويرجع أن تكون طبيعة الأسرة المسلمة التي يعيش فيها في كنف أبنائهم، ومن ثمَّ فلا حاجة إلى الإحسان إليهما عن طريق الوقف.⁽⁴⁾

ومن خلال هذه النماذج لأوقاف النساء في المدن يلاحظ أنَّها كانت أوفر حظاً من نساء الأرياف من حيث الميراث الذي أوقفته حيث يجد أنَّ المرأة في إقليم توات لم تكن لها الخطوة في الميراث، بحكم العادات والتقاليد التي تنقص من حقوقها مثال ذلك: محاولة بعض الآباء حبس ممتلكاتهم، من أجل حرمان البنت من حقِّها في الميراث⁽⁵⁾. ولربَّما لم تكن لها الحرية في التصرُّف في أملاكها إن كانت لها أملاك أصلاً.

(1) حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 64.

(2) أرزقي شويثام، المرجع السابق، ص 316.

(3) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، المرجع السابق، ص 233.

(4) ودَّان بوغفالة، المرجع السابق، ص 354.

(5) مبارك جعفري، المرجع السابق، ص 127.

وهذا تكون لمساهمة المرأة في الوقف أثرٌ اجتماعيٌ بالغ الأهمية من حيث تماسك الأسرة، وكفالة الأيتام والفقراء. داخل وخارج الأيالة.

4- نماذج لأوقاف النساء الذرية:

يعتبر هذا النوع من الوقف كذلك إحدى آليات الولاية الجماعية حيث يقتصر استعمال واستغلال العقار المحبس على مجموعة معينة من الأفراد ترتبط برابطة الدم والنسب⁽¹⁾.

كان الناس بشكل عام والمرأة بالخصوص يوقفون لحماية أملاكهم من الضياع أو حمايتها من يد السلطة. وكان يستفيد منها الأولاد والأحفاد وكانت النساء تستفيد من هذه الأوقاف ولاسيما عند الولادة أو اليتيم أو الفقر. ولعل إقبال النساء هذا النوع من الوقف راجع لعدم ثقتها في صلاح الورثة⁽²⁾.

لقد خصت المرأة نفسها أولاً بالحبس: "... على نفسها أولاً مدّة حياتها، معتمدة في ذلك على مذهب الإمام أبي يوسف ومشايخ بلغ من أئمة الحنفية رضي الله عن الجميع، من أن تحبس المرء على نفسه أولاً، لا يخرجها عن معنى القربي...". وهذا بموجب ترخيص المذهب الحنفي⁽³⁾.

ومثال ذلك تحبّس السيدة عيشوشة بنت عبد الوهاب على ابنتها "ناجة" وذريتها بمليانة، المؤرخ في شهر رجب عام خمسة وعشرون ومائة وألف 1125هـ/1713م: "... محل الأماكن المذكورة داخل البلد وخارجها المذكورة في الرسم، حبسا ووقفا على ابنتها نايجة...". وكذلك تحبّس السيّدّة مريم بنت السيد الحاج مولود، على أختها وذريتها، المؤرخ في 1127هـ/1715م: "... على أختها، وعلى أولاد أختها، وعلى أعقابهم، وأعقاب أعقابهم ما تناسلوا وامتدت فروعهم، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين..."⁽⁴⁾.

(1) مصطفى أحمد بن حموش، المدينة والسلطة في الإسلام "نموذج الجزائر في العهد العثماني"، ط1، دار البشائر، دبي، 1999، ص 62.

(2) أبو القاسم سعد الله، محاضرات، المرجع السابق، ص 161.

(3) ودان بوغفالة، المرجع السابق، ص 342.

(4) نفسه، ص 343.

5- نماذج للمرأة في الصحراء ودورها الأسري:

شكّلت المرأة جزءاً أساسياً من المجتمع التواقي وحظيت بمكانة مرموقة، ولم يكن الزواج في توات مقروناً بسن معين، وعند الفتاة كان يتم قبل سن العاشرة أحياناً، ويشترط في الزوج الكفاءة من حيث النسب لا من حيث الغنى، لأن تقسيم المجتمع التواقي يخضع لعامل ديني وليس اقتصادي، وفي طليعة هذا التقسيم طبقة الأشراف وهم من آل البيت، ويحملون لقب الشريف أو (مولاي)⁽¹⁾.

ولا يحق لأب أن يزوّج ابنته لمن هو أقل منها نسبا دون موافقتها، وهناك فتاوى في ذلك، وتعيّر المرأة التي تتزوّج من طبقة أقل من طبقتها وهذا ما جعل بعض العائلات تفضّل تزويج بناتها لقريب لها ولو كان فقيراً، كما تجد الأب يعقد لابنته مع ابن أخيه وهما صغيرين لعدة اعتبارات تخص الميراث. ولتظلّ قريبة من عائلتها، وبعد بلوغ سن الرشد قد يتزوّجا وقد تحدث الكثير من المشاكل. ووقع خلاف بين علماء توات في صحّة هذا العقد وفي صحّة عقد من يقول أن بني متزوّجة من فلان ليعبد عنها الخطّاب⁽²⁾.

زمن خلال ما تقدّم نلاحظ الاختلاف في كيفية الزواج، فنجد أن المجتمع التواقي يشجّع زواج الأقارب في إطار طبقي ديني، بينما في مدينة الجزائر يشجّع المصاهرة الفتوية التي تجمع بين العامل الديني والاقتصادي.

وأما المرأة في مجتمع الطوارق فقد مثّلت طفرة في تاريخ المرأة الجزائرية عبر العصور وحتى العهد العثماني، حيث تمتّعت بمكانة عليّة وعظيمة أكثر من الرجل، ولها حرية كبيرة في التصرف بشؤونها، وهذا ما أشار له ابن بطوطة وابن خلدون والرحالة الشيخ محمد بن عثمان الحشاشني، ولعلّها ظاهرة منتشرة في كامل الحواضر الصحراوية الكبرى⁽³⁾.

وفي منطقة الهقار تنبؤاً الطارقية منزلة كبيرة لأنّها تنجب الشجعان والنبلاء، وتعيش في أسرة تسمى عندهم (إيهن)، أي الخيمة، ومجموع الأسر يشكّل القبيلة (توشيت) إذا كانت من فرع واحد، ثم تتكوّن المحلة أو الحي وبلغة الطماشق، ومن عادة الطوارق أن يتولى

(1) مبارك جعفري، "جوانب من الحياة الاجتماعية في منطقة توات من خلال المصادر المحلية (ق12م/18م)"، أعمال

الملتقى الوطني الثاني حول الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الجنوب بالجزائر خلال القرنين (12-13هـ/18-19م)

من خلال المصادر المحلية، جامعة وادي سوف، جانفي، 2012، ص ص 121-128.

(2) عائشة غطاس، المرجع السابق، ص 362.

(3) عبد الله كروم، "المرأة في مجتمع الطوارق خلال القرن 19م. منطقة الهقار عينة"، أعمال الملتقى الوطني الثاني حول

الحياة الاجتماعية والاقتصادية، المرجع السابق، ص ص 132-138.

الحكم بعد السلطان ابن أخيه، وإن لم يكن وارث، من جهة المرأة ينقل إلى أقاربه بالدرجة الثانية، أي أبناء الجدات والخالات، فالترشيح دائماً من جهة الأم، وذلك لاعتقادهم "أن ابن الأخت يجري في عرقه الدم النقي الواضح لسلالة السلطان أكثر من الإخوة والأبناء الذين قد يشكُّ في نقاء دمهم".

والمرأة الطارقية مركزية الأنوثة في الأسرة لأنَّ لها في محيطها الفضائي دوراً محورياً ولاسيما في شؤون الأسرة وما يخصُّ الحريات، بوصفها أنَّها صاحبة القرار الأول في شؤونها الخاصة، كما أنَّها غير مُلزَمة بخدمة زوجها لأنَّ لها جوارى وخادِمات، إضافةً لحرية اختيارها للزوج، وهذا ما أثار حفيظة الرحالة التونسي الشيخ الحشاشني الذي وصفهم بقلَّة السور والدين⁽¹⁾.

وهكذا يتبيَّن لنا أنَّ المرأة حظيت بمكانة ودور يتفاوت من جهةٍ لأخرى، وفق عوامل وتقاليد أنصفتها أحياناً، وخذلتها أحياناً أخرى.

6- علاقة المرأة بالأسرة من خلال المصادر الأوروبية:

حظيت الأسرة في أيالة الجزائر باهتمام الأوروبيين، وكان وصفهم يتمتَّع بالتدقيق، ويقول ويليم سبينسر: "يبدو أنَّ المرأة اليهودية قد سُمِّح لها بحرية بين العامة أكثر من أحوالها المسلمات فقد انغمست كما يحدثنا (Gramaye)، في الجلوس على باب منزلها "على الحصر أو الزربية تلغي طوال اليوم، ما عدا حين تذهب إلى الحمامات أو تنزل بالتدئين أو تذهب إلى السحرة أو إلى المدافن أو إلى الحدائق والأعياد العامة، ولها عناية قليلة بأولادها"⁽²⁾.

بينما يصف فيلهم شيمبر في الأسرة المسلمة السعادة، التي تسود حياتها المتزلية في مدينة الجزائر فيقول: "وقد أُتيح لي أن أراقب أسرة كانت تسكن بجواري. فحين يعود الرجل إلى البيت تستقبله زوجته معانقة إياه مقبلة، وتجلسه قربها فوق الأريكة وتحديثه ويحدثها، ويسرع الأطفال كذلك إلى أبيهم فرحين، فيضمُّهم إلى صدره في حنانٍ وحبٍّ ويأخذ في مداعبتهم"⁽³⁾.

يمكننا أن نستقرأ من المثالين العلاقة الوطيدة بين المرأة المسلمة وأسرتها الصغيرة من جهة، والعلاقة الضعيفة التي تجمع المرأة اليهودية بأسرتها، وهذه العلاقة سواء الأولى أو الثانية سيكون لها أثر في حياة الأولاد فيما بعد بالإيجاب أو السلب.

(1) عبد الله كروم، المرجع السابق، ص 135.

(2) وليم سبينسر، المرجع السابق، ص 101.

(3) أبو العيد دودو، المرجع السابق، ص 12.

المبحث الثالث: مشاركة المرأة في الحياة الاجتماعية

تميزت الحياة الاجتماعية في أيلة الجزائر، بتنوع مظاهر الحياة اليومية من حيث طرق العيش التي طغت عليها العادات والتقاليد من الحفلات الدينية والأعياد، والأعراس وكذا المأكل والملبس، وكان الموروث الاجتماعي أو المؤثرات الخارجية من المشرق والأندلس⁽¹⁾.

أولاً: العادات والتقاليد.

مارس سكان الجزائر عادات مختلفة منها مراسيم الخطبة والزواج، واستقبال وتوديع الحجاج ورياس البحر، إضافة إلى الحفلات الدينية من أعياد، واحتفال بالمولد النبوي وغيرها.

1- مراسيم الزواج:

1-1 الخطبة: هي مرحلة التخطيط للزواج وعقده، وذلك بواسطة الأمهات والعلاقات النسوية التي تسعى بين الطرفين. والنساء الجزائريات يلتقين إما في الزيارات المتبادلة في المنازل أو الحمامات العمومية في فترة ما بعد الظهر⁽²⁾.

ويقول فاغنر الألماني: "إذا سمع شاب بفتاة جميلة، ورغب في مصاهرة أهلها، فإنه يبحث من خاطبة لها علاقة بأهلها، تتيح له الدخول إلى بيتهم... والخاطبات يتمعن في الجزائر بالحرية التي يتمعن في الجزائر بالحرية التي يتمتع بها الرجال، فلا أحد يهتم بما يفعلن ونظرا للسرية التامة المتعلقة بالأنثى فإن المتوسطات كن يقمن بعمل ذي قيمة، وربما يذهبن من بيت إلى بيت في مهمات للعائلات اللاتي هن أولاد في سن الزواج⁽³⁾.

ويستعلمن عن تواجد النساء المقبلات للزواج، أو أنهن يجلن الأخبار من وقت إلى آخر حول التطور الجسمي للفتيات من البيوت إلى الراغبين في القيام بعقود الزواج لأبنائهم كما كانت متوسطات مفيدات في تزويد الآباء بالمعلومات الاقتصادية المتعلقة بأصهارهم المحتملين للمستقبل⁽⁴⁾.

(1) سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص 155.

(2) وليم شالر، مذكرات وليام شاكر فنصل أمريكا في الجزائر [1824، 1816]، تعريب وتعليق وتقديم اسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 86، 87.

(3) أبو العيد دودو، المرجع السابق، ص 116، 117.

(4) وليم سبنسر، المرجع السابق، ص 116، 117.

ومن خلال هذه الأوصاف توفر الخطابة عناء البحث عن زوجات المستقبل، وتعطي للخطاب تفاصيل تسمح له باختيار شركة حياته وفق شروطه.

1-2 عقد الخطبة (الصدّاق):

1-2-1 الصدّاق عند اليهود: تجدر الإشارة إلى أن الشريعة اليهودية تشترك مع الشريعة الإسلامية في اعتبار المهر (الصدّاق) ركن أساسي من أركان الزواج، يسمى ويحدد عند عقد الخطبة، وهو واجب على الزوج يلتزم به لزوجته ويشترط توثيقه في عقد الزواج⁽¹⁾ وهو قسمان مقدم ومؤخر يسمى المؤخر "كتوباه" ويشار إلى الجزء المقدم في العقد، أما المؤخر فيسلم الزوج عند الطلاق، أو يدفعه ورثته في حالة الوفاة⁽²⁾.

1 - 2 - 2 الصدّاق عند المسلمين:

كان الرحالة ابن حمادوش يمارس كتابة الوثائق، ومن بينها صيغة الخطبة حيث جاء في إحداها: "الحمد لله الذي أجل بنعمة النكاح، وحرم بحكمته السفاح ورفع عنا الحرج في دينه والجنّاح، حمدا يستمر على تعاقب المساء والصباح، وصلى الله على محمد الداعي إلى الفلاح والنجاح وعلى آله وأصحابه أولي النهى والصالح"⁽³⁾.

1-2-3 مكونات الصدّاق:

اختلفت مكونات الصدّاق من منطقة لأخرى وتحكمت فيه عوامل عدة أبرزها الانتماء الاجتماعي، والصدّاق أو المهر يكون مالا له قيمة ويصح أن يكون ذهباً أو فضة نقد أو حلي، ويصح أن يكون استيفاء دين في الذمة، ويجوز أن يكون المهر مكيلاً أو موزوناً أو حيواناً أو عروضاً مثل الثياب كما تصح أن تكون الفلوس وورق النقد المهر⁽⁴⁾.

ففي مدينة الجزائر يتكون الصدّاق من مبلغ نقدي ويتراوح ما بين أربعة دنانير وألف دينار، وحسب عائشة غطاس هناك حالة واحدة فريدة لضخم صدّاق بلغ "مائتي وألف دينار

(1) بشير عبد الرحمان، اليهود في المغرب العربي منشورات عين الشمس للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 2001، ص 9

(2) عائشة غطاس "الصدّاق في مجتمع مدينة الجزائر 1672-1854 من خلال سجلات المحاكم الشرعية"، إنسانيات، العدد 3، 1997، ص 47، 67.

(3) ابن حمادوش، المصدر السابق، ص 244 - 245

(4) فاطمة الزهراء قشي، الزواج والأسرة المرجع السابق، ص 35.

"واشتمل الصداق على مكونات أخرى كالصوف والفراد والقفطان والغليظة والحايك والحزام والجوهر والإماء⁽¹⁾.

أما في قسنطينة فبجانب المبلغ المالي الذي لم يخل منه الصداق أرفقت مطالب من ألبسة ومصوغ وإماء، وكان على رأس القائمة "الملحفة" التي تلتحف بها المرأة عند خروجها من البيت وفي المقام الثاني "القمجة" وهي لباس داخلي ثم يأتي القفطان ويتبعه الحزام وغيرهم⁽²⁾. وفي توات بالصحراء كان المهر مكون من الخدم والخلاخل والأساور المصنوعة من الذهب⁽³⁾ والفضة والقماش والشعير والتمر وكان مهر البكر أعلى من مهر الثيب في الغالب، أما صداق المرأة الطارقية فكان يشترط فيه ثلاث جمال سمان⁽⁴⁾.

في بلاد القبائل كانوا يزوجون بالجدى، وهذا الشرط عندهم على التعاقد وإن توفي المتزوج فيردها من أقاربهم أحد منهم ثم الثالث والرابع وهكذا لأنهم يرثونه⁽⁵⁾. ونلاحظ التفاوت في قيمة الصداق من منطقة لأخرى حيث كان المهر قيمة مالية، ولباس، ومصاغ، وحيوانات وغيره ومن خلاله يظهر لنا أن قيمة الصداق كان حسب مكانة العائلات من حيث الغنى والفقر أو غنه يخضع لعادات وأعراف متوارثة.

1- 3 الاحتفال بالزواج:

كانت حفلات الزواج الجزائرية تختلف حسب الظروف المالية للعائلات وحسب المجموعة الاجتماعية المعنية وربما حسب التنوع المدني والريفي، فبين القبائل كان الارتباط الزوجي ببساطة هو قضية الزوج والزوجة يحمل كل منها إلى شفا الآخر كأس وذلك بحضور الشهود، وقد لاحظ باناتي (PANATI) التحضيرات الجيدة للزواج بمدينة الجزائر، وقال: أنها استمر أكثر من سبعة أيام، حيث يتجول الزوج قبل أيام العرس في نواحي أصوات الطبول والمزمار... وفي يوم الزواج يقوم بجولة أخرى مرتديا جلبابا أحمر وبجانبه سيف رفيع مع وجود خممار ملقى على وجهه للحيلولة دون تأثير الشيطان وخلال الثلاثة أيام التي يجري فيها الاحتفال يؤخذ العريس إلى الحمام حتى اليوم الذي يتم فيه الزواج نوفي اليوم

(1) عائشة غطاس، الحرف والحرفيون، المرجع السابق ص 362-363.

(2) فاطمة الزهراء قشي، المرجع السابق، ص 35-43.

(3) مبارك جعفري، المرجع السابق، ص 128.

(4) عبد الله كروم، المرجع السابق، ص 140.

(5) صالح عباد، المرجع السابق، ص 401,400.

الآخر يجتمع الأصدقاء والأقارب فيقوم الزوج بالصلاة بمحضرهم وينصرف بعدها ليلتحق بالزوجة في بيتها.. أما الزوجة فتنتقل إلى مقر بيتها على ظهر حصان، تمتطيه في هودج معلق⁽¹⁾.

التقيل، وهذا ما سجلته إليزابيت بروتين في مذكراتها (ست سنوات إقامة في مدينة الجزائر) حضور أمها في زواج بنت قاضي الجزائر لرجل تركي كبير السن وله عين واحدة، فلاحظت أنه لما اكتملت صرمت الزواج كانت الثقل ولم تستطع الزوجة أن تمشي بها داخل البيت دون مساعدة، فارتدت حزمة من الكريت الواسع العريض المحشو بالماس، وبعد ذلك شق العروسان طريقهما وسط ماء الزهر الذي كان أحد المساعدين يصب من إناء فضي في الأكواب التي كانت بأيديهما، وكل واحد منهما كان يشرب مما في كف الآخر⁽²⁾.

وبالنسبة لمراسيم الزواج عند الطوارق كان العقد مصحوبا بقراءة القرآن بحضور الأولياء وفق مقتضيات الشريعة الإسلامية، وتنطلق الأفراح لمدة أسبوع وتنصب للعروسين خيمة قريبة لأهل العروس، وحسب العادة فإن العريس يسكن لمدة عامين بجوار أهل العروسة وفي هذه الإقامة تتمرن العروس على مسؤولياتها العائلية⁽³⁾.

يلاحظ مراسيم الزواج عند المسلمين في الجزائر متشابهة من حيث قراءة القرآن والوليمة، وقرع الطبول والغناء ولكنها تختلف في عدد الأيام وفي اللباس الذين يبين نسبة ثراء العائلة أو فقرها.

2 - الاحتفالات الدينية:

تتمثل الاحتفالات الدينية في الأعياد والمولد النبوي وكذلك شهر رمضان، هذا بالنسبة للمسلمين أما اليهود فكانت لهم أيضا طقوسهم الدينية ومن بينها ختان الأطفال الذين اشتركوا فيه مع المسلمين.

2-1 الاحتفال بالعدين (الفطر والأضحى)

كانت الأعياد الجزائرية تدعى (بيراهات SMAR YAB) من الكلمة التركية الخاصة بالعطل الدينية، وارتبطت بالدين الإسلامي، وقد كان أكبر الأعياد هو قربان بيرامي

(1) وليم سينسر، المرجع السابق، ص 117، 118.

(2) نقلا عن، وليم سينسر، المرجع السابق، ص 118، 119.

(3) عبد الكروم، المرجع السابق، ص 140.

(IMRYABNNDRUK)، (ومعناه عيد المسلم الكبير للتضحية)، وهو مرتبط بذكرى التضحية المقدمة لإبراهيم الخليل عليه السلام، والأعياد الأخرى هي سكر بيرام (MARYABREKES) (أي عيد السكر وقد سمي بذلك لتبادل الهدايا فيه والقطع الصغيرة من الحلويات المصنوعة) وذلك بمناسبة نهاية شهر رمضان، وكانت النساء يقدمن عقب الانتهاء من صلاة العيدين الكسكس المطبوخ، بعناية لكل من الحضر⁽¹⁾ ويصف مالمسان العيد الصغير بأنه في الغالب للأطفال الصغار، ففي هذا اليوم تقدم للأطفال هدايا، يتمثل بعضها في الفلوس، ويكفي عادة صوردي واحد أو صورديان، ينفقونها أو يشترون به لعبا، وهذه الهدية غالبا ما يفضلها الأطفال⁽²⁾.

2 - 3 الاحتفال بالمولد النبوي الشريف:

الاحتفال بعيد المولد النبوي (DILVEM-FIRES) الذي هو يوم ميلاد النبي محمد، ويقول عنه شارل أندري جوليان أنه من تقاليد الحركة الموحدية أي ابتداء من أواسط القرن 13م، وأن من أدخله رسميا أبو يعقوب المريني وتبناه عن طواعة كل أهل المغرب حتى أصبح في مستوى غير الفطر عيد الأضحى (العيد الصغير والعيد الكبير)⁽³⁾ وفي الجنوب كان من المناسبات المعلومة مع أسبوع النبي أي يوم الثامن عشر من شهر ربيع الأول ولمكانته أفق الفقهاء بكراهة الصوم في هذين اليومين، ولا أن يقضي فيهما، لأنهما عيد من أعياد المسلمين⁽⁴⁾. وهذا الاحتفال يحظى إلى اليوم بهذه المكانة في إقليم توات.

وما يميز هذا الاحتفال الأطباق والمأكولات المختلة والحلويات، كما يشعل الشموع، وكان ليوم الجمعة أيضا مظهر خاص حيث تغلق الأبواب في المدينة، عند الصلاة، وتغلق الدكاكين، وتخرج بعض العائلات للترهة أو زيارة الأضرحة، أما النساء فيكتفين بزيارة القبور⁽⁵⁾.

(1) وليم سينسر، المرجع السابق، ص 120

(2) مالتسان، المصدر السابق، ص 61.

(3) شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية من الفتح الإسلامي إلى سنة 1830، تعريب محمد الغزالي والبشير بن سلامة، ط 3، الدار التونسية للنشر، تونس، ج 2، 1985، ص 391.

(4) مبارك جعفري، المرجع السابق، ص 127.

(5) سعد الله، المرجع السابق، ج 1، ص 155، 156.

2-4 الاحتفال بشهر رمضان:

كانت تقام فيه عادات خاصة ومميزته عن باقي الشهور الأخرى كختم القرآن والذي يعتبر مناسبة تقيم فيها الأسرة مأدبة تدعو إليه الأطفال الآخريين كما يشترك الجيران في تبادل التهاني والأفراح ويلبس الأطفال ملابس جديدة في المساجد وإضاءة الشموع، كما كان الناس في هذا الشهر الفضيل يسهرون ويخرجون لزيارة الأقارب والجيران خاصة النساء اللواتي لا يخرجن إلا نادرا لتبادل أطراف الحديث والاستمتاع بالسهرة⁽¹⁾. ويبدو أن المرأة لم تكن تخرج للشارع لأن سيمون بفايفر يروى أنه حين أصبح طبيبا للوزير وغيره من أفراد القصر، تعرف على قوانين اللياقة التي لا تسمح للرجال بالمرور فوق السطح لأنها ممرات مخصصة للحريم، أما الشارع فكان يمشي فيه الحراس العامة⁽²⁾ ويضيف وليم سينسر أن حركة العمران المتداخلة كانت قد تسهلت أكثر بواسطة الشرفات في أعلى كل منزل لدرجة أن السيدات يمكن لهن الانتقال من منزل لآخر عبر السلام، وذلك عبر كل مدينة الجزائر دون أن تشاهدهن العامة أو يضطرن إلى التزول للشوارع⁽³⁾.

2-5 الاحتفالات العامة:

كانت هناك احتفالات تشترك فيها جميع فئات المجتمع مثل الاحتفال بختان الأولاد الذي يكون بعد ولادة الطفل والذي هو من السنة النبوية لدى المسلمين، كان اليهود أيضا في الجزائر يقيمون مأدبة طعام عند ولادة الطفل ومن خلال اللوحة الفنية التي رسمها أليسون (أنظر ملحق رقم 1). يظهر لنا مدى تكيف اليهود مع الحياة الجماعية واقتباسهم للعادات الشائعة، حيث كانوا يرتدون أزياء جزائرية⁽⁴⁾ وهذا يدل على التأثير بالبيئة الاجتماعية الجزائرية.

كما كان للزواج أيضا أعيادهم الوطنية والدينية، وتدعى الدربة والتي تذبح فيها مجموعة من الحيوانات كتضحية للجن وقبل أن تبدأ التضحية تتقدم عجوز متزينة، الرقصة المقدسة بخطوات رزينة وبطيئة، ومع أن الزواج مسلمون فقد كانت لهم شعائرتهم الخاصة،

(1) بلقاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 156.

(2) سيمون بفايفر، المصدر السابق، ص 29.

(3) وليم سينسر، المرجع السابق، ص 60.

(4) أليسون وويلد، رحلة طريقة في إيالة الجزائر، تحقيق وترجمة جيحلي محمد، منشورات دار الأمة، الجزائر، 2001

اللوحة 39.

وكانت الذبيحة استرضاء للجن وإشفاء للمريض الذي دفع ثمن التضحية، وكانت النسوة من العربيات واليهوديات، يتبعن الشيخ الزنجي لتقديم التضحية⁽¹⁾.

ومن الاحتفالات أيضا استعمال السفن البحرية ويصفها لنا سيمون بفايفر بقوله: "وعندما وصلت السفينة إلى الميناء رفعت علمها وأطلقت من مدافعها ثلاث طلقات... وتناهى إلينا من المدينة ضجيج رهيب، فقد دفع الفضول الشعب إلى الميناء وكانت السطوح مغطاة بالنساء المتحجبات، وهن يزغردن"⁽²⁾

يرافقها صديقتها حاملين المشاعل والمزامير والطبول وعند باب دار زوجها "تؤخذ بعناية شديدة حتى لا تلمس الثرى الذي يعتبر فالاً سيئاً"⁽³⁾.

ويصف لنا مالتسان حضوره لحفل زواج بقسنطينة جمع بين سيدي علي وابنة قاضي قسنطينة البالغة من العمر اثنتا عشر سنة. ويقول: "وهذه الحفلة عبارة عن قراءة السورة الأولى من القرآن أي ما يسمى بالفاتحة، وفي المشرق الفاتحة، وكان المفروض أن تقرأ بحضور العروسين ولكن التقاليد تقتضي بأن ينوب وكيل عن كل منهما. وهكذا يتم الزواج عند هؤلاء القوم بالوكالة... ويوم قراءة الفاتحة يرسل الخطيب الكعك إلى جميع أصدقائه وفي يوم العرس كان الزحام في المساء شديداً في بيت سيدي علي، ومع ذلك لم يسمح لأحد من الحضور بذكر شيء عن الزواج وتعتبر التهاني عند العرب قلة أدب مثل السؤال عن أحوال الزوجة..."⁽⁴⁾.

ويروي لنا مالتسان عن صديقتها الألمانية مراسيم الزواج بالجزائر العاصمة، ويقول: "وحدثني طويلاً ما شاهدته من مظاهر الترف والروعة التي تجلت في ألبسة النساء ففي الصباح ارتدت العروس ثوباً أبيض من النسيج المطرز بالذهب وفي المساء لبست ثوباً آخر من المخمل الثقيل، وحملت فوق جسدها كل مجوهرات قريباتها، وقد جرت العادة باستعارة

(1) هاينريش فون مالتسان، المصدر السابق، ج1، ص 84.

(2) سيمون بفايفر، المصدر السابق، ص 14.

(3) وليم سينسر، المرجع السابق، ص 118.

(4) هاينريش فون مالتسان، ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا، ترجمة: أو العبد دود، مج1، دار الأمة، ج3، الجزائر،

2009، ص 63.

المجوهرات لمثل هذه المناسبات على أن تأتي حاجتها بعد مرور أسبوع، لاستعادة المجوهرات لتتجرد العروس بعد ذلك من كل ولا يبقى لها غير قميصها...⁽¹⁾.

ربما تنطبق هذه العملية على البنات المتوسطات الحال أو الفقيرات واليتيمات، لأن بنت الأسر المتفندة كانت لتملك المصاغ.

ثانياً: المطبخ:

كانت المأكولات متنوعة في الأيالة وهي في الغالب من المنتوجات المحلية ففي المدن كان عدد الأطباق التركية يشكل المستوى الجيد إلى جانب الكوسكوس وهو الطبق التقليدي لشمال إفريقيا، وهي الأطباق التركية هناك البيلاف وهو من الأناضول، والدولما (معناها الحرفي المحشوة) ويابراك دولماسي (لحم مغلق) بأوراق العنب إلى جانب الكباب من لحم العجل والخرفان والغنم، وكذلك الكفتة⁽²⁾.

وكان الخبز ولحم الضأن والدجاج والسّمك والحليب والزبدة والزيتون وزيت الزيتون، والفواكه والخضروات إلى جانب الكسكس الذي يصنع بعجينة تشبه المقارونة تشكل الأغذية الرئيسة لسكان البربر⁽³⁾ ويرى حمدان خوجة أن سكان الصحراء يصنعون الخبز من القمح والشعير أو من الشعير وحده ولا يكون أبداً من القمح الصافي وذلك راجع إلى المناخ أو لقناعتهم⁽⁴⁾.

ثالثاً: لباس وزينة المرأة.

كان تنسيق اللباس من أقدم الاهتمامات التي قامت عليها الدولة العثمانية، وهو بذلك يميز الشعوب عن بعضها البعض، وكانت نوعية الملابس تختلف باختلاف الطبقات وثروة الأفراد وفصول السنة⁽⁵⁾.

وكان لباس المرأة الريفية عبارة عن حائك تلتف به، يصنع من قماش القطن صيفا ومن الصوف شتاء ويتحزمن بأحزمة ملونة مصنوعة من الصوف أو الوبر الجيد⁽⁶⁾.

(1) هاينريش فون مالتسان، ص 63، 64.

(2) وليم سينسر، المرجع السابق، ص 113.

(3) وليم شالر، المصدر السابق، ص 87، 88.

(4) حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 32.

(5) كارل بروكمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة، منير البعلبكي وأمين فارس ط1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان 1948، ص 412.

(6) حمدان خوجة، المصدر السابق، ص 32.

وكانت زينة النساء العربيات تتكون من أقراط في آذانهن وحلقات فضية وأما سواعدهن وسيقاهن فكانت مزينة بخلائل وأقراط حسب زي البلاد وكانت البنات منه يتجملن عادة بالوشم عدة أرقام ورسوم مليحة باللون الأزرق على الجسم كله* أما اللواتي يقمن بالمدن فإنهن يحتفظن ببياض وجوههن على الخلقة التي ولدن عليها وتوشم بعضهن فقط زهرة صغيرة⁽¹⁾.

ويصف لنا شاو أن سكان الأرياف يرون في الملابس الداخلية لباس ترف، وتلبس نساء الجزائر العربيات الحذاء ولكن بدون جوارب.

ويضيف أن المرأة الجزائرية لا تقنع بالجمال الذي وهبتها الطبيعة لشعرها ولحواجبها فهي تعمل على صبغها بالأسود كما تصبغ بطلاء خاص أظافر أصابع أيديهن، وكذلك يصبغن بالحناء أكفهن وأقدامهن، كما أنها تلبس الحلي الثقيل، بما في ذلك خواتم وأقراط الذهب وأساور* وخلائل من الذهب والفضة، والمعدن الشائع⁽²⁾.

أما ملابس نساء الأتراك كانت تختلف بين المتزوجة والفتاة بالنسبة للمتزوجة كانت أكثر أناقة وتلبس (الفارملة) التي تكون مفتوحة عند الصدر ومشدود بحزام عند البطن، وهو معطف أو أكثر بأكمام مع الألبسة الداخلية، ولما يخرجن للحياة العامة يضعن ثوبا مزركشا من ثلاث طبقات⁽³⁾.

أما الفتاة فكانت ترتدي على رأسها قلنسوة وتعرف خارج بيتها من خلال السراويل المتعددة الألوان⁽⁴⁾.

ويبدو أن أثر اللباس النسوي التركي وصل إلى أقصى الصحراء فكانت نساء الطوارق يلبسن ثوبا مصنوعا من القطن يتدل إلى الركبة وسراويل فضفاضة مثل نساء المدينة في

* في الذقن، والعنق والذراعين، واليدين، والرجلين، والساقين، نقلا عن مامول كريخال، إفريقيا ترجمة: محمد حجي وآخرون، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرباط، 1984 ج4، هامش ص 111.

(1) نفسه، ص 111.

* تصنع من قرون الجواميس، وهي لزينة الذراعين، نقلا عن حمدان خوجة، المصدر السابق، ص 245.

(2) ولیم شالر، المصدر السابق، ص 85.

(3) ولیم سینسر، المرجع السابق، ص 106، 107.

(4) ولیم شالر، نفس المصدر، ص 86.

العاصمة، ويلبسن في الصيف قبعات واسعة الحواشي مخروطة الشكل مصنوعة من القش⁽¹⁾ وبالنسبة للزينة فقد اهتمت النساء في المدن بجمالهن أكثر من نساء الأرياف والبدو، وذلك يظهر من ارتدادهن على الحمامات مرة في الأسبوع وهذا لتنظيف أجسادهن وحتى لإظهار الأزياء وتبادل الأخبار العائلية⁽²⁾، وقد يكون إفراطهن في استعمال الحمامات* سببا في ظهور التجاعيد بفعل البخار⁽³⁾.

وقد أجمعت المصادر الأوروبية على أن نساء الجزائريات شديداً الرغبة في الروائح والأطرز المزركشة والتركيبات العطرية، وعلى طلاء الأظافر والأكفاف والأصابع وبواطن الأقدام بالحناء* وهناك علامة يثني عليها نساء الجزائر وهي عيون الغزال (أي الصفاء والاتساع واللون لأعطر)⁽⁴⁾.

والنساء أكثر اهتماماً بالزينة فيما يخص ملابسهن، أما أطفالهن فهم يعانون من المشي حفاة حتى السابعة أو الثامنة من عمرهم.

من خلال ما تقدم نجد أن المرأة كانت لها أدوار اجتماعية فاعلة داخل الأيالة سواء في العادات والتقاليد الدينية والوطنية ومظاهر الحياة اليومية.

(1) إسماعيل العربي "الحياة الاقتصادية والاجتماعية عند طوارق أهجار"، مجلة الأصالة، العدد 72 تمناست، أوت 1979، ص 47

(2) وليم سبنسر، المرجع السابق، ص 108.

* يصف روزي قاعات الحمام بأنها تتكون من أربع قاعات متصلة، مغطاة بقطع من الرخام وفي قاعة حنفية تصب داخل الحوض الذي لا يتسع لقدمين معا، نقلا عن علي خلاصي، قصبة مدينة الجزائر ط 1، دار الحضارة، ج 2، الجزائر، 2007، ص 38.

(3) وليم شالر، المصدر السابق، ص 83.

* هي نوع من النبات تنشف أوراقها وتطحن وتصنع عجينة تغطي الأيدي بالليل قبل النوم وفي الغد تغسل، نقلا عن عميرواي حميدة، الجزائر في أدبيات الرحالة والأسرة خلال العهد العثماني "مذكرات تيدنا أنموذج"، دار الهدى، الجزائر، 2003 هامش ص 90

(4) نفس المصدر، ص 83.

الفصل الثالث:

المرأة ودورها الاقتصادي

- المبحث الأول: ممارسة المرأة للحرف والصناعات التقليدية
- المبحث الثاني: مساهمة المرأة في المجال الفلاحي
- المبحث الثالث: مصادر ثروات المرأة

المبحث الأول: ممارسة المرأة للحرف والصناعات التقليدية.

كلّف الإسلام الزوج بالنفقة على زوجته وأولاده، فحين لم يكلف المرأة حتى الإنفاق على نفسها، فنفقتها واجبة على أبيها أو ولي الأمر منها مادامت غير متزوجة، وعلى زوجها بعد زواجها، ومن ثمة فإن الزوجة غير ملزمة للعمل خارج البيت لتحصيل الرزق ولكن إذا كان الإسلام لم يلزم المرأة بالعمل خارج بيتها فإنه لم يمنعها من ذلك فقد كانت في المجتمعات الإسلامية تصنع الفخار والنسيج والطين والأدوية والعطور⁽¹⁾، سواء مع الرجل أو بمفردها فان كانت كذلك فماذا قدمت في العهد العثماني.

أولاً: النشاط الحرفي للمرأة في المدينة

أثبتت عقود المحكمة الشرعية وجود قسم معتبر من المهن منها ما يتعلق بالمعاملات قامت بها النساء من بيع وشراء ووقف وفرائض وغير ذلك وهناك من المعاملات ما كان بين النساء ومنها ما كان بين النساء والرجال، وفي الوقت الذي كان فيه الاهتمام بذكر المهنة المتعلقة بالرجل، فان ذلك لم يوجد بخصوص النساء إلا في حالات قليلة ونادرة، مثل فطومة بنت الحاج عبد الله "الرقيصه" وآمنة بنت محمد الرقيصة (وهي الراقصة)، وياسمينه التاجرة، وعائشة دحمان القابلة⁽²⁾.

وإذا صدقنا رواية هايدو الإسباني فان المرأة في مجتمع المدينة تعاطت نشاطات حرفية خارج بيتها حيث اشتغلت في ورشات لصناعة الأنسجة الحريرية مند النصف الثاني من القرن 16⁽³⁾.

ويتعلق الأمر في المقام الأول بالنساء الأندلسيات اللواتي جلبن معهن خبرة ودراية في محالات مختلفة كالغزل والخياطة والطرز وما يأسف له عدم الإشارة لذلك في الوثائق المشار إليها. تشير دفاتر المخلفات أو التركات العائدة إلى أواخر القرن 18 أن المرأة تعاطت حرفاً تدرج ضمن الخدمات كالبيع والشراء أو الدلالة، وإقامة الأعراس "المسمعة" و"المداحة" و"التمريض" و"التوليد" هذه الأخيرة أشرنا إليها⁽⁴⁾.

(1) علي عبد الواحد واني، المرجع السابق، ص 105.

(2) حمّاش خليفة، المرجع السابق، ص 129.

(3) عائشة غطاس، الحرف والحرفيون، المرجع السابق، ص 254.

(4) عائشة غطاس، المرجع السابق، ص 254.

وكانت النساء المسلمات تتعاملن مباشرة مع اليهود أو توكل من ينوب عنها في المعاملة وتوثيق العقد عند القاضي وقد جاء في العقود الشرعية اثنين وعشرين اسما لنساء تعاملن مع اليهود، نذكر منها ابراهيمية بنت ابراهيم العطار سنة 1661م، وآمنة بنت عدي باشا سنة 1753م. ونفيسة بنت السيد عبد الرحمان الشوامي سنة 1812. وهذه الأخيرة كانت أكثر النساء تعاملًا مع اليهود، حيث اشترت أربعة محلات (1812-1813) من مالها الخاص⁽¹⁾.

كما أن من النساء من أجرت عقارات تحصن لليهود وهذا ما يمنحهن بعض الاستقلال المالي عن أزواجهن وأقاربهن⁽²⁾.

وهذا ما يدفعنا للتساؤل عن مدى مساهمة المرأة الجزائرية في النشاط الاقتصادي بعد امتلاكها لمحلات تجارية وتأجيرها.

وما يلفت الانتباه حسب ما أشار إليه عائشة غطاس، أنه لم يرد ذكر المرأة اليهودية في النشاطات الحرفية، علما أن اليهود مارسوا جميع فروع التجارة واحتكروا السمسة وصناعة الذهب والفضة⁽³⁾.

وفي أشكال التطريز والإشكال الأخرى من عمل الإبرة أبدعت فيها النساء منهن مدينة الجزائر وكانت من النشاطات الأساسية وقد اختص النساء بالطرز على القطع الخاصة بالنوافذ وألبسة الرأس والمحارم اليدوية وكذلك تطريز القفطانات وغيرها من ألبسة النساء والرجال، وكان عملهن يشغلهن لساعات.

وكان عملهن بالطرز يفوق العمل ذاك الذي وجد في الأناضول والشرق، وذلك لجودة الصباغ والمهارة اليدوية، والألوان المعتادة هي الأحمر والأزرق والباهت⁽⁴⁾.

(1) نجوى طوبال، "طائفة اليهود في مجتمع مدينة الجزائر (1700-1830) من خلال سجلات المحاكم الشرعية"، رسالة ماجستير التاريخ الحديث نقلا، جامعة الجزائر، 2004-2005، ص 199-201.

(2) نفسه، ص 202.

(3) عائشة غطاس، المرجع السابق، ص 247.

* أشار المؤلفون في القرن 17-18 إلى القفطان باعتباره ثوبا يغطي الغليظة مصنوعا من المخمل ومطرز بالذهب والألوان وفي 1830 لا نجد القفطان بينما تظهر الفريجة وكان من المشرق، نقلا عن عوض مخالفة، تاريخ الألبسة التقليدية الجزائرية، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر 2007، ص 9.

(4) وليم سبينسر، المرجع السابق، ص 109، 110.

وكانت الزنجيات في مدينة الجزائر تجلسن في الأسواق العامة، الواحدة منهن إلى جانب الأخرى في صف طويل وفي حوض كل منهن كومة من الخبز الشبيه بالفطائر تبيعه للمواطنين بسعر زهيد، وتشتغلن في الحمامات العربية⁽¹⁾.

بالنسبة لنساء الزواوة يذكر هايدو أنهن في المدن مثل قسنطينة، تلمسان، مستغانم وغيرها، حيث كان رجالهن يعملون في الحمامات العسكرية، وكان راتبهم متدنيا، فاضطرت نسائهم للعمل نساجات أو في بيوت الحضر أو في بيوت الملجعات الغنيات⁽²⁾.

وقد اقتحمت المرأة حرفا كانت نادرة حتى في عالم الرجال كصناعة الشمع-وكان الشمع التي شملها احتكار الدولة، حيث كانت إحدى السيدات عويشة الشماعة تصنع الشمع وتبيعه، وكانت إحداهن "بجاقجية" تصنع السكاكين⁽³⁾.

أما نساء قسنطينة فاشتهرت بصناعة بالطرز المحلي والصباغة وغيرها من الصناعات المحلية⁽⁴⁾.

ثانيا: الصناعة التقليدية للمرأة في الريف.

عرفت البلاد الجزائرية في العهد العثماني نشاطا صناعيا شمل اغلب المهن التقليدية والحرف اليدوية التي كانت معروفة في الأقطار الإسلامية، وهذا ما ينقض الكتاب الفرنسيين بان الصناعة في الجزائر خلال العهد العثماني كانت تقتصر على بعض الصناعات التي وصفت أنها بدائية في طريقة صنعها بسيطة في نوعيتها تقليدية في أساسها⁽⁵⁾.

ويذكر صالح العنتري أن بايلك قسنطينة -الذي يعتبر أكبر البايلاكات- كان اقتصاده يعتمد على الفلاحة وتربية المواشي أساسا ثم النشاط التجاري، والصناعات التقليدية، التي تدر على أصحابها مردودا لا بأس به في القرى العمرانية الكبيرة وعلى رأسها مدينة قسنطينة⁽⁶⁾.

(1) مالتسان، المرجع السابق، ج 1، ص 83-84.

(2) صالح عباد، المرجع السابق، ص 319.

(3) عائشة غطاس المرجع السابق، ص 254.

* للمزيد من التفاصيل حول صناعة الشمع ينظر، عميرواي حميدة، الجزائر في أدبيات الرحلة، المرجع السابق، هامش ص 95

(4) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ج1، المرجع السابق، ص 163.

(5) ناصر الدين سعيدوني والشيخ المهدي بوعبدلي، الجزائر في تاريخ العهد العثماني، م، وك، الجزائر، ج1، 1984، ص 61.

(6) محمد صالح العنتري، المصدر السابق، ص 17-18.

1- صناعة نسيج الصوف وصباغتها:

اهتمت النساء بهذه الصناعة دون الرجال و يذكر الدرعي في رحلته أن النساء في عين ماضي كالبهائم، وقال عنهن أيضا "أنهن غير متحجبات ويخالطن الحجيح ويععن ويشترين وأنهن كن يغسلن الصوف في الساقية الجارية بالماء البارد". وقد كان حكما قاسيا في حق النساء بالمنطقة إلا أنه أفادنا بان المرأة كانت تمارس التجارة من خلال بيع الصوف⁽¹⁾.

أما بقسنطينة فذكر فندلين شلوصر كيفية غزل الصوف عند النساء في الريف حيث أنها "تستعمل مغزلان ذا قرص خشبي يدار بواسطته وتمسك تحت ذراعها عصي لفت حولها الصوف وتسحب منها خيطا، وتضعه حول الغزل، وتدير حول فخدها ثم تبعده عنها وتتركه يدور وأثناء سحبها للخيط من الصوف يبطء، ينشأ خيط سميك... وبعد العشاء تعود النسوة إلى عملهن السابق، ينسجن ويغزلن حتى ساعات متأخرة من الليل"⁽²⁾.

وتصنع النسوة من الصوف الزرابي وهي تصنع في الأكثر في العلاي على مسيرة يوم من معسكر وتصنع في الواحات الجنوبية كغرداية، والأغواط، وورقلة، تقرت، وبسكرة، وبوسعادة والمسيلة⁽³⁾، وتضع كل في الجهات الحياك من الصوف أيضا، وتستعمله للباس النساء أيضا⁽⁴⁾.

ويذكر لنا حمدان خوجة أن النساء تلتف في الحايك، وهو قماش ينسجهن بأنفسهن ولونه أحمر أو أزرق، والصوف الملون يستورد من مدينة الجزائر والثريات من النساء يغطين وجوههن بقطعة كتان من القطن⁽⁵⁾.

كما كانت نساء الأطلس الصحراوي يصنعن البرانس للرجل الذي اشترك في لبسه العرب والأتراك (الكراغلة). أما العرب فكانوا يلبسون البرنس الصوفي بدون زينة، عكس الكرغلي الذي كان يلبس برنس من نوع خاص عادة مزين بالقصب وبجواشي الذهب أو الفضة أو الحرير طبقا لغروره ونزواته، وكان شكله دائري يلصق في وسطه "قلمون" وهو

(1) فندلين شلوصر، قسنطينة أيام أحمد باي 1832-1837، ترجمة وتقديم أبو العيد دودو، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر 2007، ص 94.

(2) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص 162، 163.

(3) يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر الملتقيات الوطنية والدولية، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 403.

(4) احمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا، المرجع السابق، ص 173، 174.

(5) حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 23.

وسيلة للوقاية من المطر، والبرنوس في فصل الشتاء ينسج من خيوط أمتن بحيث يقي من المطر ولونه أسود⁽¹⁾.

وكان باي الغرب يحمل من بين الدنوش إلى الداى البرانس الزغداني والحياك القومز* صنعة تلمسان⁽²⁾.

وكانت عنابة، مطلع القرن 16م مشهورة بخياطة الملابس والأقمشة ونسيج الأغذية والبرانس والمعاطف الزراي والبرادع ولعل هذا ما جعل حسن الوزان يخص نساجي عنابة بالذكر دون سائر الصناع الآخرين⁽³⁾.

ويبدو أن السبب في وجود المصنوعات النسيجية الجزائرية يعود إلى نوعيّة الحياة والصباغة⁽⁴⁾.

2- صناعة مواد الزينة والعطور:

وهي صناعة خاصة بالعنصر النسوي تقريبا، في البيوت والنازل ولا تتطلب إلا بعض المواد الأولية مثل السخاب ومادة الحرقوس السوداء، وسواك الشفاه من قشور شجر الجوز، ومادة الكحول السوداء للعيون⁽⁵⁾.

ومما تقدم يمكن القول أن المرأة مارست عدة أنشطة صناعية، حيث كانت لتبلي الحاجيات اليومية في الريف، وتحسن من أوضاعهم، بينما في المدينة فقد كانت حرفة أساسية ومصدر دخل للعديد من السكان ولكن ما يعاب عليها أنها لم تواكب التطور الكبير الذي عرفته أوروبا في تلك الفترة.

(1) وليم شالر، المصدر السابق، ص 83.

* القرمز مادة حمراء اللون تنشأ وتجف فوق أشجار خاصة بالغرب تستعمل بعد جفافها صبغا احمر قانيا ثابتا للصفوف، نقلا عن، وليم شالر، المصدر السابق، هامش ص 58.

(2) نفسه، ص 36.

(3) ناصر الدين سعيدي، وراقات جزائرية، المرجع السابق، ص 466.

(4) GF. FICHER, légende barbaresque, guerre.commerce et piratrie en afrique du nord 1415-1830, tard et annoté par P hillar, OPU, Alger, 1999, P103

(5) يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 408.

المبحث الثاني: مساهمة المرأة في المجال الفلاحي.

كان الاقتصاد الجزائري يعتمد أساسا على الزراعة، لهذا فان معظم السكان كانوا يقطنون الأرياف، وكانت معيشتهم تعتمد على الزراعة وتربية الحيوانات، وقد ساهم في ذلك اتساع رقعة الأراضي الزراعية وخصوبة المناخ، كما أن تنوع التضاريس قد أدى إلى تنوع الغطاء النباتي، والمحاصيل الزراعية، وكان نشاط المجتمع الجزائري تحدده طبيعة تضاريس البلاد، والتي يمكن تقسيمها من الشمال إلى الجنوب إلى ثلاث مناطق هي:

(أ) - **المناطق الشمالية:** تنتشر فيها السهول الشاسعة نسبيا والضيقة المنحصرة بين الجبال والبحر، مثل حوضي سبا والصومام في منطقة القبائل⁽¹⁾.

(ب) - **منطقة الهضاب العليا أو الوسطى:** تتميز أراضيها بالارتفاع النسبي واقعة بين سلسلتين جبليتين، الأطلس التلي والأطلس الصحراوي تغطيها إغشاب قصيرة، وهي منطقة رعوية بالدرجة الأولى وتساهم في إنتاج الحبوب.

(ج) - **المنطقة الجنوبية والصحراوية:** وهي اكبر المناطق الساحلية، أراضيها قاحلة تغطيها الكثبان الرملية إلا أنها تنتشر بها واحات خضراء، مغروسة النخيل⁽²⁾. وبشكل عام تهيمن على الأرياف الحياة القبلية، سواء في السهول العليا أو في المناطق الجبلية أو الصحراء⁽³⁾.

أولا: المحاصيل الزراعية

لقد ساعد تنوع التضاريس والمناخ وخصوبة التربة على وفرة كل أنواع المحاصيل الزراعية فكانت كل منطقة مخصصة لإنتاج أنواع معينة من المحاصيل الزراعية⁽⁴⁾.

(أ) **فلاحة الحبوب:** اعتنى المجتمع الجزائري عامة، بزراعة الحبوب كونها أساس معيشتهم، ومنها الشعير والخرطان والذرى وغيرها.

وتعتبر الحبوب عصب الحياة الاقتصادية للسكان، ويعتمد في تسميد التربة على فضلات الحيوانات، وبقايا الحشائش وجذورها وأوراقها اليابسة، وتفلح الأرض سنة وتترك للراحة في السنة الموالية لتستغل في الحشائش والحيوانات⁽⁵⁾.

(1) وليم شلر، المصدر السابق، ص 29.

(2) ارزقي شويتم، المرجع السابق، ص 212-213.

(3) صالح عباد، المرجع السابق، ص 362.

(4) A.Ben chanhou, formation du sou développement en Algérie, ENC, Alger, 1978,p 27

(5) يحيى بوعزيزي، المرجع السابق، ص 398-399.

(ب) - **فلاحة الخضار:** كان الفلاح الجزائري ينتج أنواع مختلفة من الخضار، والفواكه، وانتشر هذا النوع من الزراعة في الأجنة والبساتين والضيعات الواقعة خارج المدن⁽¹⁾. ومنها البصل والثوم واللفت والجزر واللوبيا والخيار والسلطة والنطاطة والبطيخ والدلاع والفقوس، والبادنجان والقصير، والفلول السوداني وغيرها⁽²⁾.

(ج) - **غراسة الأشجار المثمرة:** بأنواعها الثمرة كالتين والزيتون والكروم والرمان والخواخ والتفاح والأجاص، والكمثري وغيرها. وتقدم الأشجار الثمرة مردودا معتبرا يلعب دورا بارزا وأساسيا في حياة السكان، كالثمار بالنسبة لسكان الواحات والتين والزيتون بالنسبة لسكان بلاد القبائل، فيبيعون إنتاجهم من الثمرات والتين والزيتون والزيت ويشتررون بدل منه ما يخصهم من الحبوب والمواد الغذائية الأخرى أو يبدلون بها⁽³⁾.

ثانيا: الثروة الحيوانية.

اهتم المجتمع الجزائري عامة بتربية الحيوانات، إلا أن عددها يختلف من منطقة إلى أخرى، فكانت الأغنام والجمال منتشرة في الهضاب العليا ومشارف الصحراء حيث شساعة المراعي، بينما الأراضي التلية كانت مخصصة في تربية الأبقار. أما الماعز والخيول والبغال فلا تملكها كل القبائل⁽⁴⁾.

والواقع أن تربية الحيوانات كانت شائعة في كل الأرياف والمناطق الجبلية إلا أن عددها كان محدودا، فلا تجد أسرة ريفية لا تملك عددا من الأبقار والماعز والحمير والدواجن وخلايا النحل، فإن هذه الثروة رغم قلتها، فأنها كانت مكتملة لإنتاجها الزراعي والحرفي، وقد سمحت هذه الثروة الحيوانية لكي تكون الجزائر من الدول المصدرة لها وللصوف والجلود علاوة على المواد الزراعية الأخرى، كالحبوب والزيت والشمع⁽⁵⁾.

(1) F.de Haedo, "Topographie et histoire générale d'Alger", trad, l'espagnol, par Monnereau et Berbrugger, in R.A, N°14, Alger 1870, P491.

(2) يحيى بوعزيزي، المرجع السابق، ص 400.

(3) نفسه، ص 402.

(4) L. Feroud, «l'exploitation de la carasta», in R.A, N°12, Alger, 1868, P378

(5) J M Venture de paradis, Tunis et Alger a X V [Jé. Siècle bib, arabe, sindbal. Paris.1983, P123

ثالثا: مركزية المرأة في الريف.

أشاد الرحالة أمثال (pessonel) و(V. de paradis) وغيرهم بشجاعة المرأة الجزائرية وخاصة في الريف، بل اتفق الجميع على أن المرأة الجزائرية الريفية كانت أهم عنصر في الحياة بالريف الجزائري، حيث كانت تقوم بجميع الأعمال داخل بيتها وخارجها⁽¹⁾.

ويقول عمران خوجة: أن النساء في السهول "هن اللاتي يحملن الماشية ويعتنين بصغارها، كما أنهن راعيت بينما تقوم الكلاب بحراسة القطعان ويضيف أن مالكي المزارع يستعملون العمال والرعاة ويعضلون لهم السابقات حسب حاجتهم، ويسكنون بأولادهم وأزواجهم عند الملاك... وكثيرا ما يتزوج بعضهم بأكثر من امرأة ليستعين بهن في أشغالهن، ولأن من الصعب على المرأة أن تحصل على عيشها إن لم يكن لها زوج فالأسرة بأكملها تعاون صاحب الضيعة على زرع الأراضي وإنجاز جميع الأشغال اليدوية⁽²⁾.

كما أن النساء اللاتي يكلفن بالحلب، يذهبن لجلب الماء وقطع الحطب لإشعال النار، وفي الأماكن الذي يوجد فيها الحطب بقلّة، كما هو الشأن في نواحي قسنطينة، فإن الأهالي يستعملون محروقات من نوع آخر، مكونة من خليط العشب وخثي البقر المجفف والنساء هن اللاتي ينسجن الخيام والحياك والبرانس، وهن اللاتي يمحضن ويتبعن طريق الحصادين لجمع السنابل كما أنهن يتولين طمن الحب.

وكذلك عجن الدقيق، والقيم بكل ما هو متري على العموم⁽³⁾ وفي نفس السياق يقول فاندلين شلوصر: "أن المرأة بعد زواجها من عرب قسنطينة، هناك أعمال كثيرة في انتظارها وهذا في الوقت الذي ينعم به الرجل بالراحة، ولذلك لا تستطيع امرأة واحدة القيام بها ففي الفجر تحلب الأبقار والأغنام، ثم تأخذ واحدة في محض الحليب، بينما تنظم أخرى الخيمة، والباقيات يسقن الماشية إلى الرعيان وتتم تهيئة الزبدة واللبن، وفي الغالب تأكل الزبدة أو تباع... وهناك أخريات يهيئن الفطور وتأخذ أخريات المطحنة، ويطحن الدقيق اللازم و في حوالي الرابعة مساء تذهب اثنان لجلب الحطب الذي قلما تعثران عليه، ولذلك يكتفين بالبر، فيضعنه في الشمس ليصبح صالحا للاستعمال⁽⁴⁾

(1) جميلة معاش، المرجع السابق، ص 21.

(2) حمدان خوجة، المصدر السابق، ص 354.

(3) حمدان خوجة، المصدر السابق، ص 36.

(4) فاندلين شلوصر، المصدر السابق، ص 39.

ومما ذكر يتبين لنا أن نشاط المرأة الريفية لم يقتصر على الاكتفاء الذاتي بل كانت تساهم في تنمية اقتصاديات البلاد. إذا كانت معظم المواد التي تدخل ضمن الضريبة العينية التي يجمعها الباب من أرياف بابل كهي من إنتاج المرأة كالمنسوجات والمواد الغذائية كالسمن والكسكسي الذي كان يحمل حتى العاصمة ضمن الدنوش⁽¹⁾.

رابعا: حالة المرأة في الريف.

على ضوء ما سبق نتساءل عن دور الرجل في الحياة الريفية ما دامت الأعمال كانت على عاتق المرأة يقول: "Dr. Shou" أن عمل الرجل الريفي لم يكن يتعدى الحرث والبذر والحصاد وكثيرا ما كان يمضي يومه جالسا أمام بيته يحتسي القهوة مع الرفاق ويدخن غليونيه في حين كانت المرأة تقوم بجميع الأعمال، ويضيف أن الرجل الريفي كان مولعا بالفروسية حتى انه كان يفضل فرسه عن أبنائه وزوجته...⁽²⁾

وقد لاحظ مالتسان حالة نساء البدو خارج أبواب مدينة الجزائر أمام "القراصة" ووصفهن بقوله: "...وهن سافرات وموشّسات، إنهن عبادات رجالهن وخادماتهن ودوابهن...يسرن خلف رجالهن يرزحن ويلهشن تحت أحمالهن الثقيلة، وكل بدوي يتزوج تقريبا عدة نساء لأنهن عوض أن يكلفنه ثمن يصبحن على العكس من ذلك مكسبا له. فهن فتيات عاملات يشغلن في حقوله، دون أن يقدم لهن أجرا، أما الحضري فإنه لا يكاد يقتصر على امرأة واحدة⁽³⁾.

ويتفق عند الوصف على حمدان خوجة الذي قال: "...ونرى هؤلاء النساء اللاتي لا يتوقفن عن الاشتغال، نراهن قذرات لا يعتنين بهندامهن، الأمر الذي يجعلهن عرضة للحمى ولغيرها من الأمراض من كثرة ما يلاقين من أتعاب، وعلاجهن عبارة عن أعشاب معروفة بنجاعتها لأن السكان لا يعفون مبادئ التطبيب...⁽⁴⁾.

وقد اصدر الدرعي حكما على النساء بعين ماضي قاسيا مفاده أنهن كالبهائم "كدأب النساء في هذه النواحي"⁽⁵⁾.

(1) جميلة معاش المرجع السابق ص 21.

(2) جميلة معاش المرجع السابق ص 21-22.

(3) مالتسان، المرجع السابق، ج 1، ص 39.

(4) حمدان خوجة، المصدر السابق ص 36.

(5) أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج 1، ص 180.

ومن خلال الدراسة التي تقدمت بها فلة القشاعي حول الوضع الصحي آنذاك أن أغلبية الأمراض التي مست الجزائريين آنذاك كالكوليرا وتيفوس ارتبطت بالمناطق التي سادها البؤس وسوء التغذية والتعاسة والحرمان ولم تحترم فيها قواعد النظافة⁽¹⁾. وإذا ما وضعنا مقارنة بين وضع المرأة في المدينة والمرأة في الريف نجد هذه الأخيرة تقوم بعدة أدوار حتى التي هي من اختصاص الرجل، وهذا ما جعلها قليلة الاهتمام بهندامها وصحتها، بخلاف المرأة في المدينة التي وإن كان لها أدوار في التنمية إلا أنها كانت شديدة الحرص على نظافتها ونظافة بيتها وأطفالها، حتى كان الطفل الحضري مضرب المثل في النظافة والذوق والجمال⁽²⁾.

(1) فلة الموسوي القشاعي، المرجع السابق، ص 344.

(2) أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ص 162-163.

المبحث الثالث: مصادر ثروات النساء.

اختلف مصدر ثروات النساء في مجتمع الجزائري حيث كانت لبعض النساء من حضوهن أو مناهجن في الميراث، ومنهن العاملات في المهن والحرف، ومنهن المتعاملات في البيع والشراء والكرء مباشرة، وغيرها من المصادر التي خلفت من خلالها النساء ثروات تفاوتت من امرأة أخرى.

أولاً: ثروات النساء من الملكية

يلاحظ من خلال رصد وثائق الوقف سواء في سجلات البايلك أو بيت المال ووثائق المحاكم الشرعية، إنها تفيض بأسماء النساء اللاتي هن أملاك وهذا ما يدل على مكانة المرأة الجزائرية في الحياة الاجتماعية، وتؤكد استقلالية الشخصية المالية التي كفلتها لها الشريعة الإسلامية.

ففي الفترة الممتدة (1548-1840) ساهمت المرأة بسبع وثمانين ومائة (187) وقفية، اشتملت العقارات هن الدور والحوانيت والمخازن والإسطبلات والعلويات الموجودة بمدينة الجزائر⁽¹⁾.

وتفيدنا تركة عائشة بنت محمد حويجات أنها خلفت حانوتين أحدهما كائن بالخضارين والآخر بالفكاهين، واختص الحانوتان بالتجارة وبيع الصابون⁽²⁾. كما تتميز المخلفات في مجملها بالتفاوت الشاسع بين مستويات الثروة، وبالنسبة لفئة النساء فهناك تباعد صارخ بين الحدين الأدنى والأقصى، وقد وجدت أدنى ثروة في الفترة الممتدة بين 1793-1817، متروك عمجوزة من باب الجديد خلفت رباين اثنين (02)، سنة 1802، بينما بلغ أقصى حد للثروة في سنة 1801، وهو متروك امرأة 9066 ريالا، وكانت الثروة الثانية لامرأة تدعى بنت دارم التي توفيت سنة 1800، حيث خلفت ثروة تقدر بـ 8726 ريالا⁽³⁾. ومن خلال العقارات نجد ما يتعلق بالفلاحة حيث وجدت حالت زهرة بنت عبد الله الفهري التي كانت واحدة من الثريات في مدينة الجزائر، وتضمنت تركتها عند وفاتها سنة (1028هـ-1619م) عقارات ذات قيمة كبيرة. وكان منها حانوتان في سوق باب

(1) حنفي هلاي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الهدى، الجزائر، 2009، ص 200

(2) حنفي هلاي، دراسات في التاريخ الأندلسي والمورسكي، دار الهدى، الجزائر، 2010، ص 137

(3) ليلي خيراني، "دراسة في ثروات النساء في مجتمع مدينة الجزائر في العهد العثماني"، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 13، الجزائر، 2011، ص 110.

الوادي. وجنة بفحص بوزريعة، وحوش في بطن بني قليل وجد به 58 رأس من البقر و20 ثلثة من القمح وغير ذلك، علاوة على عدد من العبيد والأسرى الأوربيين⁽¹⁾

وبالنسبة لمنطقة القبائل يذكر الورثاني: "إن إقليم البابور من عاداتهم القديمة قطعهم للميراث عن النساء وعملهم يارث الأخ لأخيه...⁽²⁾

ولعل في ذلك بعد اقتصادي أكثر مما هو إنقاص لشخصها في الحروب والتراعات بين القبائل تحتم على المرأة بعد وفاتها أن تورث زوجها - وهذا تناقض بين ثقافة أن تقود المرأة شعبا، وبين ميراث المرأة في هذه المنطقة-.

ولكن نلاحظ أن المرأة القبائلية في مدينة الجزائر كانت أوفر حظا، حيث كانت أضخم ثروة في جماعة القبائل تعود لامرأة قبائلية في نوفمبر 1880م، ما قدره سبعمائة ألف ريال (1770)، مما جعلها تستحوذ علي أزيد من نصف مجمل ثروة القبائل⁽³⁾

وفي السنوات الأخيرة من العهد العثماني كان الرخاء فاحشا في أوساط الحكام حيث ذكر وليام شالر أن أرملة الداوي أحمد باشا (وهو الذي عقد المعاهدة الولي من الولايات المتحدة) بعد وفاته في سن متقدمة جدا وشاع القول إنها خلقت تركة تبلغ عدة ملايين من الدولارات⁽⁴⁾، وهذا ما يعكس حالة الرفاهية التي عاشتها المدينة آنذاك .

ثانيا: ثروات النساء من التجارة.

مارس سكان الجزائر القرصنة*، فالأغنياء منهم صنعوا سفنا خاصة بهم وقادوها بأنفسهم، والفقراء جمعوا النقود واشتركوا مع التجار في امتلاك السفن البحرية، وحتى النساء بعن مجوهراتهن، واشتركن بهذا العمل المريح وأصبحنا مالكات لحصص في بعض السفن⁽⁵⁾. وهذا ما أشار إليه شارل أندري جوليان فيما يخص تجارة العبيد التي رآها أوفر ربعا من

(1) حماش خليفة، المرجع السابق، ص ص 131، 130.

(2) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج 1، ص 488.

(3) عائشة غطاس، الحرف والحرفيون، المرجع السابق، ص 292.

(4) وليام شالر، المصدر السابق، ص 78.

* وتسمى عند المسلمين الجهاد البحري، ولمزيد من التفاصيل ينظر جمال قنان، معاهدات الجزائر مع فرنسا، 1619-

1830، للمؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، 2007، ص ص 249، 250.

(5) سامح التري، المرجع السابق، ص 250.

الغنائم وان النصراني لم يعد ذلك الكافر الذي يختطف من بله بل أصبح بضعة يسعى القوم إلى التخلص منها بأسرع وقت وبأعلى ثمن⁽¹⁾.

كما أن المرأة اقتحمت مجال التجارة من خلال كراء المحلات أو بيع أو شراء العقارات وكن يتعاملن مع طائفة اليهود مباشرة أو بوكيل ينوب عنهن ومثال ذلك نفيسة بنت علي الصباغ ومريومة بنت حسن افندي، التي أجرت لليهودي إسحاق محلا يقع بسوق الشماعين، والزكية حسنة بنت السيد مصطفى، التي اشترت من الذمي هارون بن يوسف بلخير شطر المحل بسوق الصباغة⁽²⁾.

أما الولية نفيسة بنت السيد عبد الرحمان الشواي، كانت من أكثر النساء تعاملًا مع اليهود، وكانت توكل في كل مرة من ينوب عنها في المعاملة والتوثيق عند القاضي، وقد سمحت لها ثروتها الطائلة بشراء أربع محلات من مالها الخاص في الفترة (1812-1813) أي في ظرف سنة واحدة⁽³⁾. ترى هل كانت هذه السيدة من أكثر نساء المدينة.

ثالثا: ثروات النساء من المهن الغير شرعية.

تكونت لدى فئة من النساء ثروة خاصة بهن نتيجة ممارسة مهن غير شرعية كالbegging والرقص وغيرها.

1- مهنة البغاء الرسمي: يذكر سيمون بغايفر أن عدد البغايا في الجزائر كان ضخما، وإنهن أما بنات أبوين فقيرين أو فتيات طردهن أزواجهن أو هربن من سوء معاملتهن لهن، وكان بعضهم يعشن بمفردهن، بينما يعيش بعضهن الآخر مع أخريات كثيرات، وكانت الحكومة قد سمحت بفتح المباغي العامة. مع أن ذلك كان ممنوعا في تركيا، ووضعت قائمة بأسمائهن⁽⁴⁾.

(1) شارل اندري جوليان، المرجع السابق، ص 357.

(2) نجوى طوبال، "طاقة اليهود..."، المرجع السابق، ص 202، 201.

(3) نجوى طوبال، المرجع السابق، ص 202.

(4) سيمون بغايفر، المصدر السابق، هامش ص 131.

وحسب الوثائق فإن البغايا غير التركيات اللاتي احتفظ بهن لإمتاع العزاب من اليولداش، وكان ذلك تحت إشراف المزور*، وكن مراقبات بشدة، ويفتشن بانتظام ويعشن في حي مديني خاص محجوز ومقفل على القادمين من خارجه⁽¹⁾

وكان من يزور الحي يقدم طلبا إلى المزور يطلب فيه السعر الذي يستطيع الدخول على أساسه ويحدد اليوم الذي يريد الدخول فيه ثم يصدر الإذن له و هذا الإجراء يشبه مثيله في الأقفاس (cafes) الموجودة في قسنطينة⁽²⁾

ويتسلم المزوار كل شهرين مقدارا من المال يتراوح ما بين خمس الى عشر قطع بوجو عن كل بنت عمومية، ويقدم عليها حسابا دقيقا للداي كل سنة⁽³⁾

ويذكر شاو أن رسوم الدعارة تبلغ في مدينة الجزائر وحدها 24 فرنك⁽⁴⁾، وإن تأخرن عن تقديم هديتهن الشهرية، وكثيرا ما كن يفقدن أنفاسهن تحت ضربات السياط التي تتراوح بين الخمسة مائة والسبعة مائة⁽⁵⁾.

و اغلب الضن أن انتشار هذه المهنة مرده إلى عزوبية الانكشارية، حيث تحتم على السلطة أن تنظم إلى النشاط، خاصة وان زواج اليولداش يتم وفق، وقد ترفض الرخصة إذا كان يولداش من الجنود الجدد.

2) مهنة الرقص: كان الرقص مهنة احترفتها فئة من النساء، ويقول الرحالة الألماني فاغنر "والرقص مهنة مربحة فبعد كل رقصة تقترب الراقصة من المشاهد الجالس هناك واللياقة تحتم عليه أن يلصق بماء الورد أو بلعابه قطعة نقدية فوق وجهها وحين يمتلئ بالقطع النقدية تحرك رأسها فتساقط في منديلها، وقد أكد لي أحد الجزائريين أنها تتقاسم ذلك مع صاحب العرس وهو ما يشبه ضريبة العرس بالنسبة المدعويين"⁽⁶⁾.

* المزاور يقوم بمهام شرطة الأخلاق والمخالفات الاجتماعية، ومن مهامه مراقبة أهل الدعارة، وما يتعلق بالبغاء لهوى وله الحق في حجز كل امرأة منحرفة تمارس بدون رخصة وله الحق بتنفيذ عقوبة جسدية عليها وهي مهنة اقتصرت على سكان الحضر دون الأتراك نقلا عن ناصر الدين سعيدوني، وركات جزائرية المرجع، السابق، ص 186.

(1) وليم سينسر، المرجع، ص 119

(2) نفسه، ص 119

(3) ناصر الدين سعيدوني، وركات جزائرية، المرجع السابق، ص 187

(4) صالح عباد، المرجع السابق، ص 349

(5) سيمون بفايفر، المصدر السابق، هامش، ص 131

(6) أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالة الألمان، المرجع السابق، ص 121

وقد جاءت الإشارة إلى هذه المهنة في عقود المحكمة الشرعية مثال حالة فطومة بنت الحاج عبد الله "الرقيصه"، وآمنة بنت محمد "الرقيصه"⁽¹⁾، وقد نقل لنا مالتسان ملاحظاته حول فتيات نائليات تتراوح أعمارهن بين الثانية عشر والرابعة عشر يمارسن مهنة الرقص في المقاهي ببسكرة، وقد استفسر من رجل كرغلي عنهن وكان جوابه "ان قبيلة أولاد نايل التي تنتمي إليها الفتيات، لهم مفهوم آخر عن الشرف، وأن من تمارس مهنة "العالمه" سيعدن بعد سنوات إلى مسقط رأسهن ويحظين بزيجه نفيسة... وهذا العمل يتم بموافقة الوالدين على أساس مصلحي، ما دام الهدف هو جمع المال فان المسالة ليس فيها أي إخلال بالشرف، فما هي بمتعة وإنما هي كسب... وهؤلاء الفتيات كلهن غنيات ويحتفضن بحلي ثمين من الفضة والذهب وهو مقدس ولا يباع وإنما يورث لبناتهن من جيل إلى آخر...". وقد تأكد مالتسان بنفسه من حقيقة القطع الذهبية التي بطل التعامل بها منذ قرون⁽²⁾

ومما سبق نقول أن مصادر ثروات النساء تنوعت من فئة إلى أخرى ومن امرأة إلى أخرى حسب الانتماء الفئوي والمكانة الاجتماعية وان كانت ثروات بعض النساء لم تخضع لهذا التصنيف كما أنها تناوبت بين الحد الأقصى والأدنى فكانت هناك الغنية والمتوسطة والفقيرة الحال.

(1) حمّاش خليفة، "الأسرة في مدينة الجزائر"، المرجع السابق، ص 129

(2) هاينريش مالتسان، المصدر السابق، ج 3، ص 105-109.

الفصل الرابع:

المرأة ودورها الديني والثقافي

المبحث الأول: علاقة المرأة بالزوايا والأضرحة

المبحث الثاني: نصيب المرأة من التعليم

المبحث الثالث: علاقة المرأة بالفن والموسيقى

المبحث الأول: علاقة المرأة بالزوايا والأضرحة.

1- لمحة عن الحياة الثقافية:

اتفق الكثير من الباحثين ممن اهتموا بدراسة الوجود العثماني في الجزائر على أن الجانب الديني والثقافي لم يضطهد من قبل العثمانيين، بل تركوا له بعض الحريات، وخصوصا لدى الجماعات التي رأت فيها الولاء والطاعة⁽¹⁾.

وحسب ما نقلته مصادر فقد كانت الثقافة دينية أكثر منها أدبية⁽²⁾. وهذه الميزة التي صبغت الحياة الثقافية هي الجزائر خلال العهد العثماني الذي تميز كذلك بتقلص الحياة العلمية وعدم الاهتمام بالعلماء، الأمر الذي أدى إلى هجرة الراغبين في العلم إلى المشرق ومنهم من عاد ومنهم من لم يعد كما انتشرت البدع وحلقات الذكر والأوراد وتعدد الطرق الصوفية⁽³⁾.

وفي هذا الصدد قال شارل أندري جوليان: (إن الدين الإسلامي في بلاد المغرب لم يبقى في مأمن من البدع رغم ابتعاد الخصومات الفقهية الكبرى... فقد انتشر تقديس الأولياء انتشارا كبيرا كما تشهد بذلك الزيارات اليومية لقبور الصالحين... وأصبح القوم يعددون مناقب الأولياء في كافة بلاد إفريقيا الشمالية ابتداء من القرن الخامس عشر...⁽⁴⁾) ومن هذا القول يتبين لنا ظاهرة التصوف وزيارة الأولياء هي سابقة للوجود العثماني في الجزائر، وبذلك كان أرضية خصبة للحكام العثمانيين لتكييفه حسب أهوائهم.

2- علاقة المرأة بالزوايا والأضرحة:

احتلت الزوايا الصدارة بين مراكز الثقافة والتعليم خاصة في الأرياف أين مثلت المسجد والمدرسة في آن واحد، وذلك راجع لغياب المؤسسات الثقافية أخرى فيها⁽⁵⁾.

(1) أحمد مريوش وآخرون ، المرجع السابق، ص 132.

(2) محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر الحمية تقديم وتحقيق: محمد بن عبد الكريم، ط1، ش، و، ن، ت، الجزائر، 1972م، ص 56-57.

(3) أبو القاسم سعد الله ، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج1، 1990م، ص 178.

(4) شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 390.

(5) رشيدة شدرى معمر، "العلماء والسلطة العثمانية في الجزائر فترة الدايات (1671-1830)"، رسالة ماجستير، إشراف فلة موساوي القشاعي، قسم تاريخ، جامعة الجزائر، 2005، ص 55.

وقد قسمت الزوايا* في الجزائر إلى نوعين:

- الزوايا الحرة التي لا تنتسب إلى ولي أو طريقة صوفية يدير شؤونها مجلس يتكون من الطلبة.

- زوايا يخضع في تسييرها الشيخ المؤسس أو خلفه وبدورها تنقسم إلى الخلوتية وغير الخلوتية فالأولى يدعي شيوخها المعرفة بالأسباب الغيبية ويسمون بالطرقين ويقومون (بالحضرة) لهم فروع في أنحاء البلاد أما النوع الثاني غير الخلوتي لا يدعي شيوخه معرفة الغيب، ولهم ورد خاص⁽¹⁾.

لقد حضت الزوايا والأضرحة بنصيب من أوقاف النساء في مجتمع أبالة الجزائر مما يوضح مدى تفاعلها مع مختلف الظواهر الاجتماعية آنذاك. وفي مدينة الجزائر عدد النساء اللواتي أوقفن على الأضرحة والزوايا 43 امرأة بينما عدد الرجال 124 رجلا، وتضيف أن هناك خمسة عقود مشتركة بين النساء والرجال وقد شكلت أوقاف المرأة على الأضرحة والزوايا بنسبة 19.19% من إجمال عقود التحسيس الخاصة بالأضرحة والزوايا⁽²⁾.

ومن خلال سجلات بيت المال والبايليك وجد أقدم عقد تجبيس خاص بامرأة على الأضرحة والزوايا هو حبس السيدة فاطمة بنت عبد الله سنة (986هـ/157م) على ضريح سيدي رمضان، بينما كانت قمرا بنت عبد الله ثاني امرأة محبسة وقد سجل لها عقد حبس بيت مع مخزن على ضريح يحي بن عبد الله سنة (999هـ - 1590 م)⁽³⁾.

وتضيف عائشة غطاس أن نساء المدينة الجزائر أوقفت على 11 مؤسسة، ثمانية أضرحة وثلاث زوايا، وقد نال ضريح سيدي عبد الرحمان الثعالبي الحظ الأوفر بـ 18 وقفية، ثم ضريح سيدي رمضان بـ 8 وقفيات، وقد كان نصيب الأضرحة هو 38 عقدا بينما كان نصيب الزوايا 5 عقود⁽⁴⁾.

* لغويا جمع زاوية وهي مأخوذة من الفعل انزوى بمعنى ابتعد وانعزل، أما اصطلاحا: براء لها مأوى المتصوفين والفقراء والمسجد غير الجامع ليس فيه منبر. نقلا عن صلاح مؤيد العقبي الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، دار البرق، لبنان، 2002، ص 301، 302.

(1) يحي بوعزيز، "أوضاع المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرنين 19-20م"، مجلة الثقافة، العدد 63، 1981، ص 16.

(2) عائشة غطاس، "إسهام المرأة في الأوقاف..."، المرجع السابق، ص 102-103.

(3) نفسه، ص 126.

(4) نفسه ص 127.

أما عن الفئات الاجتماعية التي تنتمي إليها المحبسات فيمكن التعرف عليها من خلال الألقاب الإدارية والمهنية التي صاحبت أسماءهن ومن بينها:

-سلطانة بنت عبيد باشا فقد اشتركت مع ابنها السيد أحمد خوجة في حبس خيرى لدار على زاوية مولاي حسن، وهذا سنة 1752م.
-فاطمة بنت رجب رئيس، فهي بنت أحد رياس الدم، حبست على ضريح عبد الرحمان الثعالبي سنة 1751م.

-آمنة بنت الحاج محمد بوشمايم، وهو من العائلات التجارية في مدينة الجزائر⁽¹⁾.
ومن خلال الموقوفات السابقة يتبين لنا التنوع في شريحة الفئات النسوية من عائلات تجارية، وأصحاب الحرف، وطائفة الرياس، والعسكر وغيرهم.
وإلى جانب التحسيس على الزوايا والأضرحة، وجدت من النساء من كانت تقوم على الزاوية بعد وفاة زوجها، ويذهب بعض الباحثين إلى أبعد من ذلك فيقول أن المرأة وجدت مساواتها بالرجل في ميدان التصوف⁽²⁾

3- معتقدات النساء في الزوايا والأضرحة:

كانت بعض الزوايا مقصودة أكثر من غيرها لغرض فيها، فقد كانت النسوة تكثر في زاوية سيدي عبد القادر*، كما كانت العامة يكثرون في زاوية على الزواوي لاعتقادهم بأن ماءها يبرئ من العقم، ويحفظ الأولاد ويذهب الحمى. وهذه الاعتقادات في الواقع ليست خاصة بزوايا العواصم، بل كانت منتشرة أيضا في زوايا الريف، ولاسيما عند قبور الأولياء والصلحاء⁽³⁾.

ويقول شارل أندري جوليان: "... لا يمكن إهمال المترلة التي حظي بها كل من اشتهروا بأنهم أعطوا البركة، وهي منة إلهية لها مفعولها في شؤون الدنيا والدين وهؤلاء هم

(1) رشيدة شدرى معمر، المرجع السابق ص 144 .

(2) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 163، 164.

* تنتسب إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني الكيلاني، وهي أقدم الطرق وجودا في الجزائر، وجدت أيضا حصية لتنمو في العهد العثماني. نقلا عن صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق، ص 143.

(3) سعد الله، نفس المرجع، ص 270.

أولياء الله الذين يعيشون صحبة أقربائهم ومريديهم فيعطون أحدهم البركة ليكون خليفتهم في إشاعة تعاليمهم ومواصلة كراماتهم⁽¹⁾.

ويذكر وليام داقس في ملاحظاته: "... وقد كانت النساء يزرن القباب بانتظام كي يقدر من القرايين ويوقدن المصابيح الزيتية، ويصنعن الزهور لتدعيم التدخل الديني الذي يطلبه بغية إبعاد المصاعب الاجتماعية أو العائلية"⁽²⁾

ولعل السبب في ذلك لجهل النساء بتعاليم الدين الإسلامي وانحرافهم للتيار الصوفي الطرقي، واستغلال هذا الأخير لبساطة المجتمع أحيانا بسداجة البعض منه لتحقيق الكثير من الأغراض الخاصة، وكانت بعض الطرق الصوفية تلقن النساء الأوراد والذكر، حيث روى عن الملياني أنه تناقض مع محمد بن علي الخروبي الطرابلسي المتصوف فقال له هذا: "أهنت الحكمة في تلقينك الأسماء للعامة حتى النساء" فرد عليه الملياني بقوله: "قد دعونا الخلق إلى الله فأبوا ففنعنا منهم بأن نشغل جارحة من جوارحهم بالذكر" وقد لاحظ الخروبي بأن الملياني كان على صواب في ذلك، قائلا: "فوجدته أوسع مني دائرة"⁽³⁾ وسنعرض في جدول للطرق الصوفية في الجزائر خلال العهد العثماني وعدد النساء (الخونيات)⁽⁴⁾

عدد النساء	الطرق الصوفية
21056 خونية	الطريقة القادرية
140.556 خونية	الطريقة الرحمانية
5.164 خونية	الطريقة التيجانية
2547 خونية	الطريقة الطيبية
1118 خونية	الطريقة الدرقاوية
652 خونية	الطريقة الشاذلية
438 خونية	الطريقة الحناصلية
33 خونية	الطريقة العيساوية

(1) شارل آندري جوليان، المرجع السابق، ص 390، 391.

(2) وليم سبنسر، المرجع السابق، ص 125، 126.

(3) سعد الله، المرجع السابق، ج 1، ص 473.

(4) أحمد مريوش وآخرون، المرجع السابق، ص 99، 100.

يلاحظ من الجدول أن الطريقة القادرية، والرحمانية والتيجانية وحتى الطيبية تحظى بشعبية في أواسط النساء على غرار الطرق الأخرى. وهذا ما يؤكد ما ذهب إليه سعد الله حول بعض الزوايا أنها كانت مقصورة أكثر من غيرها.

ومن خلال ما سبق يتضح لنا جليا أن المرأة كانت حاضرة في الظواهر الاجتماعية السائدة آنذاك، وبالخصوص فعاليتها من خلال تحبيس أملاكها لصالح الزوايا والأضرحة، لاستمرارية هذه المؤسسات في خدمة الدين والمجتمع⁽¹⁾.

(1) عائشة غطاس، الحرف والحرفيون، المرجع السابق، ص 85.

المبحث الثاني: نصيب المرأة من التعليم.

أولاً: حق المرأة في التعليم والثقافة.

لقد نالت الحضارة الإسلامية شهرتها لاحتضانها لمختلف العلوم والثقافات لأن الدين الخفيف اعتنى بالعلم وحث على ضرورة تحصيله ونزلت أول آية من القرآن الكريم في هذا المقام حيث قال تعالى: «اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ»⁽¹⁾ كما انه لم يفرق بين الذكر والأنثى في حق التعلم والثقافة⁽²⁾. وهذا في قوله صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة وتحض المرأة في الشرائع السابقة للإسلام حتى في قوانين أثينا بفرصة التعليم والثقافة وحتى العصور الوسطى والحديثة في أوروبا كانوا يعتبرون المرأة صالحة للعمل داخل البيت أو داخل الكنيسة أو داخل المطبخ وفي أواخر القرن نادت بعض الأصوات الضعيفة بتعليم المرأة مثل الفرنسي قنالون وعلى أساس ذلك فان جهل المسلمة لا يرجع إلى النظم التربوية في الإسلام وإنما مرده إلى انحراف المسلمين عن النظم القديمة التي سنّها الإسلام في شؤون التربية والتعليم⁽³⁾.

ثانياً: أثر المجتمع على نشأة المرأة

لقد كان هناك توازن بين الرجل والمرأة في هذه البلاد كما في غيرها عبر التاريخ الإسلامي المزدهر إلى نهاية القرن ومطلع القرن 16⁽⁴⁾.

حيث بدا العالم الإسلامي ومنه الجزائر يدخل في عهد الضعف والتخلف فساءت أوضاع الشعوب من رجال ونساء، وكانت المرأة اثر تضررا واشد تخلفا بسبب حرمانها من التعليم ووضعها على هامش الحياة العامة وكذا الفهم الخاطئ لقواعد الإسلام وقيمه التي حددت وظيفة كل من الرجل والمرأة⁽⁵⁾.

ولعل مما يحسب على العهد العثماني عدم إعطاء المرأة نصيبا من التعليم، والمسالة كانت أكثر حدة حيث أن المرأة الجزائرية المسلمة كانت غائبة طيلة العهد العثماني على المسرح الرسمي، فلم تبرز سيدات ولا أميرات⁽⁶⁾ على غرار نساء الأندلس اللواتي كن

(1) سورة العلق، الآيات: 1.2.3.4 برواية ورش عن نافع

(2) محمد الشريف سيدي موسى، "التربية والتعليم بالجزائر العصر الوسيط -بجاية نموذجاً-"، حولية المؤرخ، العدد الثاني، الجزائر، 2002، ص 91

(3) علي عبد الواحد وافي "المرأة والأسرة المسلمة"، مجلة الأصالة، العدد 02، الجزائر 1971، ص 102، 104

(4) يحي بوعزيز، المرأة الجزائرية، المرجع السابق، ص 24

(5) يحي بوعزيز، المرجع السابق ص 24

(6) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج 1 ص 360

شاعرات وأميرات وفقهيات حيث قرأ ابن حزم عن النساء الفقه وكذلك ابن القيم وله مؤلف بعنوان "روضة المحبين في طوق المشتاقين" وأحصى عدد الجواري اللواتي كن يتقن القراءة والكتابة بـ 3000 آلاف جارية⁽¹⁾.

ولعل سحر الطبيعة في الأندلس أيقظ الموهبة في القلوب وحرك لسان الشعراء ومن بينهن الأدبية والشاعرة حمدونة بنت زياد المؤدب وأختها زينب وغيرها⁽²⁾.

ويقول هايدو: "إن العالم النسوي في إسبانيا الإسلامية قد نشأ في مجتمع سعيد، وهن يشكلن عناصر أخلاقية وثقافية ويتمتعن بحرية أكبر من تلك التي تتمتع بها النساء في المشرق"⁽³⁾.

ترى هل كانت مهنة الجهاد البحري وأشغال الحكام والأوجاق بجمع المال والبقاء في الحكم سببا في عدم قدرة الحكام على تطوير نظام حريمي حام. يمثل ذلك الذي عزل السلاطين العثمانيين بسبب تأمر الحريم بصورة غير مباشرة⁽⁴⁾.

أم أن معظم سكان الحظر والريف قد أهملوا هذا الموضوع على قاعدة "الناس على دين ملوكهم" وغيره على بناتهم في مجتمع لا تكاد تظهر فيه حتى يتعدى عليها^{(5)*}.

ثالثا: الأثر الأندلسي في ميدان التعليم

لم يقتصر التأثير الأندلسي على النشاط الاقتصادي والعلاقات الاجتماعية بأيالة الجزائر فحسب بل كان لهم دورهم في ميدان التعليم والسفن والعمارة وقد عمق تواجدهم في المدن ذلك الإحساس بالانتماء العربي الإسلامي لدى السكان، حيث احترفوا مهنة التعليم بالجزائر خلال العهد العثماني من خلال نقل طرق التدريس الخاصة بهم للسكان من أساليب وتصانيف في مختلف العلوم النقلية، حيث طوروا أسلوب نقل المعلومات التي تجاوزت

(1) حصة الإذاعة الثقافية الجزائرية، حول المرأة الجزائرية والأندلسية، يوم 12 ماي 2013، الساعة 20:13.

(2) محمد حسين قججه، محطات أندلسية، دراسات في تاريخ الأدب والفن الأندلسي، ط1، دار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، 1985، ص194.

(3) كورين شوفالييه، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر 1510-1541، ترجمة جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص 68.

(4) وليم سبنسر، المرجع السابق، ص 106.

(5) أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج 1، ص 336.

* نذكر من تجاوزات الجنود في حق لبنات الأهالي، عند دخولهم لمنطقة ندرومة لصدة الإسبان وقعت تجاوزات في حق السكان، ذلك أن أحد الجنود الأتراك تعدى على حرمة شابة بكر فقتل أثناء ذلك، وكان ذلك سببا في إجراءات قمعية ضد الشعب في القرن 17 م. نقلا عن، فوزي مصمودي، تلمسان بعيون عربية، ط 1، دار السبيل، الجزائر، 2011، ص 222.

الطريقة المغربية التقليدية -تعتمد على حفظ القرآن واستظهار الحديث النبوي- إلى طريقة البحث والتفكير والاعتماد على أسلوب المحاوراة والمناقشة⁽¹⁾.

كان تعليم المرأة في الأندلس يتم عبر ثلاثة طرق:⁽²⁾

1. أن تتعلم على يد امرأة مثلها، وهذا ما كانت عليه السعادة في العصر الموحد.
2. أن تأخذ المرأة العلم عن رجل أو رجال من طوي محارمها وهذه الطريقة هي أشهر الطرق وأوسعها انتشارا حيث كانت تأخذ عن جدها ووالها وأخيها وزوجها بل وأحيانا ابنتها.

3. وكانت عند الضرورة تأخذ البنت عن الرجل من غير ذوي المحارم إما خلف الستار أو أن يكون الرجل ضريرا معروفا بالعفة بل كان عدد من النساء يشددن الرجل في طلب العلم -فكلما أكملت المرأة تعليمها في بلدها ووجدت أن الظروف مهيأة لتتلقى العلم في خارج الأندلس سارعت إلى الرحلة بصحبة ذي محرم من أب أو أخ أو غيره.

فإذا كان حال تعليم المرأة في الأندلس بهذا الشكل فإننا لا نتصور أن يخلوا على بناتهم في هذه البلاد ولو تعلما متواضعا يفقههن في الدين ويدخلهن في قواعد اللغة. وأن بعض الآباء قد علموا بناتهم القراءة والكتابة وبعض القرآن الكريم وقواعد الدين ومبادئ اللغة، وفي هذا الصدد ذكر ابن مريم أن سليمان بن أبي سماعة قد اختصر صغرى محمد السنوسي في التوحيد للنساء والعامه⁽³⁾.

كما ذكر محمد ابن سليمان أن العالم الصوفي عبد الوهاب ابن حميدة كان شيخا لأمه وأخبر أبوراس أن أمه كانت كرابعة العدوية علما وتقوى، أما الورتلاني ذكر أن إحدى زوجاته كانت تحفظ ربع القرآن والوظيفة الزروقية وأجزائه من رسالة أبي زيد قيرواني، وأن زوجته الأخرى كانت تنسخ الكتب، وأشار إلى أنه كان لجدته بنتان كل منهما قد نسخت كتاب التوضيح⁽⁴⁾.

وذكر عبد الرحمن الجيلالي السيدة "موني" كريمة الحاج ابراهيم بن عبد الرحمان ابن الجيار الأندلسية أنها منعمة ومبرورة⁽⁵⁾.

(1) حنفي هلايلي، أبحاث ودراسات في التاريخ الأندلسي الموريسكي، المرجع السابق، ص 81-83.
 (2) فايزة البوكلي، "قراءات في المساهمات العلمية المرأة الأندلسية في عصري المرابطين والموحدين"، مجلة دعوة الحق، العدد 399، سنة 53، المغرب، مارس 2011، ص 75.

(3) ابن مريم، المصدر السابق، ص 307.

(4) أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 337.

(5) عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، دار الأمة، الجزائر، 2010، ج 3، ص 65.

وقد ذكر السيد شلر الذي عاش في مدينة الجزائر أكثر من خمسة عشر سنة أن فيها مدارس خاصة لتعليم البنات لم يشهدها هو وإنما حدثه عنها، وإن النساء كن يدرن هذه المدارس⁽¹⁾.

ومع ذلك فإن أصحاب البيوت الكبيرة يجلبون أستاذا معروفا بصلاحه وعلمه لتعليم البنات، وقد شمل ذلك حتى بعض الرسميين⁽²⁾ ذلك أنه ورد في بعض الوثائق أن وزير البحرية (وكيل الحرج) قد جاء معلم إلى داره ليعلم بنتيه فكانت واحدة منهما قد حفظت ثلث القرآن وتعلمت القراءة والكتابة وعمرها لا يزيد عن أربعة عشر سنة⁽³⁾.

وهناك من تدفعه التقاليد الأسرة إلى طلب العلم، فإن كان الوالد من العلماء فالغالب أن ابنه يقلده في ذلك، وبوحي منه في أغلب الأحيان، والتعلم في هذه الحالة يصبح وراثية، فإذا كانت بعض الأسر تتوارث العلوم فنحن نميل إلى وجود بنات وزوجات متعلمات ومثقفات داخل العائلة.

لأن التعليم كان قبل كل شيء لرفع الأمية واستجابة لدعوة الدين في طلب العلم ومعرفة الفروض وليس لأغراض أدبية واجتماعية⁽⁴⁾.

رابعا: تعليم المرأة في الأرياف.

كانت المرأة الريفية أكثر ظهورا من المرأة الحضرية، وكانت تقوم بدورها الاجتماعي والاقتصادي بدون تخرج في حدود البيئة والتقاليد والدين، ولا شك أيضا إنها تتلقى في صباها قواعد الدين ومبادئ القراءة على يد والديها إذا كانا من المتعلمين أو على يد مؤدب خاص أحيانا⁽⁵⁾. ومثال ذلك أن المرأة في المجتمع التواقي حظيت بمكانة مرموقة، وكانت الكثيرات منهن متعلمات⁽⁶⁾.

وبالنسبة لبعض الطرق الصوفية مثل الرحمانية والتجانية أولو العناية بتعليم المرأة وقربوها من نشاطاتهم، وذلك بغرض تحقيق جملة من الأهداف، والمتمثلة في إضعاف شوكة المرابطين وصلتهم الوطيدة بالعديد من شؤون قضايا المرأة، هذه الأخيرة التي كانت أكثر

(1) سعد الله، المرجع السابق، ص 338

(2) سعد الله، محاضرات، المرجع السابق، ص 162

(3) سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج 1 ص 338

(4) نفسه، ص 338

(5) نفسه، ص 338.

(6) مبارك جعفري، المرجع السابق، ص 127.

تقربا لزيارة الأضرحة والتبرك بالولي والمرابط، ومن هذا المنطلق راهنت بعض الطرق على ضرورة مزاحمة المرابط في توظيف المرأة لخدمة طريقته⁽¹⁾.

ومن جهة أخرى فان تربية المرأة من الوجهة الدينية والخلقية سوف تقدم دعما كبيرا للطريقة لما تحتله المرأة من مكانة قي الوسط الأسري وما تقوم به من تربية عائلية وبناء الأجيال وتوعية الناشئة باعتبار أن الأم نصف المجتمع⁽²⁾.

وكل ذلك لا محال يصب في استمرارية ونشر مبادئ الطريقة، ولعل ذلك ما دعا إليه شيخ الطريقة الرحمانية محمد بن عبد الرحمان* في رسالة بحث بحث بها إلى داي الجزائر ألح له من خلالها انه حان الأوان للاهتمام بتربية المرأة وتعليمها تعليما إسلاميا ودمجها في المجتمع وترقيتها في مناطق عدة من بلاد الجزائر وخصوصا في منطقة القبائل* لأنها مغيبة فيه.

وكانت هذه المنطقة تعرف بإهمالها للمرأة وعدم ربط قضاياها بالشرعية الإسلامية والاحتكام بالعرف والتقاليد جعلها تجرا على ما تشاء

وتذكر المصادر أن اهتمام الطريقة الرحمانية بقضايا المرأة جاء نتيجة الانحلال الخلقي التي آلت إليه المرأة في منطقة القبائل⁽³⁾.

على العموم انحصرت دائرة النساء المتعلمة في البيوت الحاكمة والبيوت العلمية ولدى البعض من الطرق الصوفية التي شجعت تعليمها لتكون أداة في نفوذها وانتشارها.

(1) احمد مريوش وآخرون، المرجع السابق، ص 137.

(2) نفسه، ص 137.

* هو الشيخ بن محمد بن عبد الرحمان مؤسس الطريقة الرحمانية جاء بها من المشرق في النصف الثاني من القرن 12م، انتشارا ورواجا في الجزائر أسس زاويته ايت اسماعيل بجبال جرجرة نقلا عن صلاح محمد العقبي، المرجع السابق، 155,156.

* سكان القبائل ويطلق عليهم الأوروبيون عادة البربر، يقيمون بجبال الأطلس علي بعد مائة ساعة من مدينة الجزائر وعددهم غير معروف ويحكمهم شيخ ولا يعترفون إلا بحكمه وهم لا يشبهون البدو الرحل فهم يقيمون بالمنطقة ويعيشون من لحم الصيد وقطعان الماشية، والرجل عندهم يكتفي بإمرة واحدة يكن لها الاحترام والإجلال، نقلا عن سيمون بفايفر، المصدر السابق، ص 138

(3) احمد مريوش وآخرون، المرجع السابق، ص 138

المبحث الثالث: علاقة المرأة بالفن والموسيقى.

أولاً: التأثير الأندلسي.

تأثر سكان المدن بما كان يجري في الأندلس أو في حواضر المشرق الإسلامي، من خلال ما جاء به المهاجرون فكانت عاداتهم موحدة⁽¹⁾. حيث عمت موجة التأثير بالمشرق - الفن الموسيقى - فقد ادخل العثمانيون عناصر جديدة امتزجت أجزاؤها بالغناء القديم وركبت إدخالات تركية الأصل وفارسية وبعضها يونانية على قول الأخصائيين في هذا الفن، وتسرب ألوان وأغاني شعبية باجتهاد كبار الموسيقيين⁽²⁾.

وإن أنصت إلى الموسيقى في قسنطينية مثلاً وجدت الطابع الشرقي واضح وملاموس فيها بيد أن هذا الطابع تحس به يقل تدريجياً حتى يتلاشى تماماً بقدر ما تبتعد من شرق الأيالة إلى غربها ذلك أن غرب أيالة الجزائر كان دائماً ومنذ عهد المرابطين تحت تأثير الحضارة الأندلسية العربية⁽³⁾.

ففي الميدان الفني نشط الأندلسيون الحياة الفنية داخل الأيالة من خلال الموسيقى التي طوروها عبر الموشحات والأزجال والمألوف⁽⁴⁾.*

وتناول الغناء الأندلسي وصف الطبيعة والمولوديات والإخوانيات*، التي تعكس النموذج الأندلسي المغربي، الذي حافظت عليه الأجيال المحلية بالجزائر والبليدة وشرشال وبجاية وتلمسان⁽⁵⁾.

وغلب على الموشحات قصائد المدح (مولوديات) ومن الواضح أن ابن رأس العين تأثر بالمدرسة الأندلسية في نظم الموشحات وكانت الموشحات تنشد بالآلات الموسيقية في المواسم الدينية والحفلات والسهرات العائلية، وقد تفنن سكان دلس وشرشال والبليدة والجزائر والقلعة وتلمسان بالعزف على مختلف الآلات الموسيقية الوترية كالعود (الكويترا)

(1) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص159

(2) محمد الطمار، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1983، ص 254، 255.

(3) نفسه، ص 255.

(4) حنيفي هلالي، المرجع السابق، ص 84 .

* المألوف الأندلسي اخترعه زرياب وهو فن تلحيني على نظام النوبات، نفس المرجع، هامش ص 84.

* شعر اجتماعي يشاطر فيه العلاء بعضهم بعضاً في مناسبات معينة، وقد سيطر على البيئة في الجزائر، نقلاً عن، أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830)، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ج 2، ص 266، 267

(5) حنيفي هلالي، المرجع السابق، ص 84

والرباب والقانون والكمنجا، أو الصوتية كالقصة والزرنة والغايطة⁽¹⁾. ولعل أعمق تأثير خلده الأندلسيون في الجزائر هو حدث الموسيقى، وهما لا شك فيه أن استيطان العناصر الأندلسية في بجاية هو الذي جعل منها مدينة تشبه اشبيلية في شغفها بالموسيقى وانصرافها عن الطرب وحافظ سكان تلمسان على جانب كبير من التراث الموسيقي الغرناطي حتى أن كلمة غرناطة مرادفة لكلمة موسيقى، ففي تلمسان اشتهر أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن مسايب الأندلسي (ت1776) بنظم الموشحات وتلحينها، ونسب إليه 3034 قطعة شعرية (مالوف)⁽²⁾.

والمالوف الأندلسي هو فن تلحيني على نظام النوبات -سلسلة من قطع غنائية تؤدي وفق قواعد محددة- وفي الجزائر تكون على النحو التالي:

هناك في اليوم أربعة وعشرين ساعة قسمت القطع الغنائية قسمت أربعة وعشرين طبعاً، فكل ساعة ما يناسبها من الطبع فجعلوا لساعة العشية قبل الغروب نوبة الرمل، ويقال لها رملية العشية، ولساعة السحر قبل الفجر، نوبة المادية ولل ساعة التي قبلها نوبة رصد الليل... وهكذا اطبعو بتناوب الشيوخ على أدائها ومن تم سميت هذه السلاسل بالنوبات⁽³⁾.

1. حفلة موركسية:

ترك لنا أليسور لوحة فنية من تلك الحفلات التي كانت تقام في المساء داخل الفناء المربع: "... يتوسط مساكن الأيالة وأرضية مزينة بالجنود يتربع فوقها المغريون فيكونون حلقة أمام المصطبة حيث يأخذ الموسيقيون مكانهم، تخصص شرفات الطابق الأول وسطح البيت للنساء فيزلن بالتناوب ويقمن برقصات خليعة وسط دائرة متكونة من عدد من المشاهدين... ولا يقضي نوع الرقصة فضاء كبير لأن الرقصات يمكن، وهن يضربن الأرض بأقدامهن... وعندما يكون هؤلاء راضين عن المجهودات التي تبذلها الراقصة في سبيل إفتان شهواتهم يتقدمن نحوهن ويلصقون بكل أجزائها عددا معتبرا من القطع النقدية من ذهب وفضة..."⁽⁴⁾ وتظهر لنا اللوحة نوع الآلات المستعملة كالزمار والعود والكمنجا وغيرها، (أنظر الملحق رقم 02)

(1) وليم سبينسر، المرجع السابق، ص 84.

(2) حنفي هلاي، المرجع السابق، ص 85.

(3) سيد أحمد سري، الطرب الأندلسي مجموعة أشعار وأجزاء موسيقى الصنعة، دار موفم للنشر، الجزائر 2006، هامش ص 21.

(4) اليسور. وو يلد، المصدر السابق، اللوحة رقم 25.

ثانيا: التأثير العثماني:

قلد الجزائريون العادات والتقاليد العثمانية من مأكّل وملبس وتجهيز منزلي وحتى الموسيقى ورغم بعدهم الثقافي إلا أنهم أثروا في الطابع العام للموسيقى والفن⁽¹⁾. حيث كانت الموسيقى الجزائرية عسكرية بالطبيعة وهي بذلك تعكس أصولها العثمانية وتتكون فرقة الاوجاق العسكرية من سبعة وعشرين قطعة، ثمانية منها طنابير عريضة تدعى الداوول (DAVUL)؛ يضرب عليها بالأصابع، وهناك خمس آلات نحاسية عريضة تدعى النكاريات (AKKAREN)؛ هناك وهناك عشر مزمار مرصعة، وبوقان وهناك زوجان من اللوحة الكيفية .

أما الطراز الموسيقي فكان من النوع المختار (MEHTAR)، وهو طراز شديد الحدة النغمية وقد أصبح شعبيا، فهو يعبر عن تضخم وقوة العثمانيين⁽²⁾.

1- ألعاب النساء البهلوانية:

كانت الألعاب البهلوانية الشعبية شائعة بين نساء المدن، وكانت اللاعبات الماهرات (pihlawne) بطلات على النطاق المحلي، وكانت المباريات بينهن تجري في مختلف الأعياد. ففي هذه المناسبات تنطلق من ثمانية إلى عشرة لاعبات فينقسمن إلى اثنين اثنين وحينئذ يكسبن زيت الزيتون حتى تلمع أجسامهن وتصبح أملس من السمك الافعواني ولا يلبسن شيئا إلا حبوات من الجلد المدهون بالزيت، وكل اثنين من بينهن ينصرفن للقيام بإتمام اللعب حتى النهاية⁽³⁾.

رغم ذلك لم يحدد وليم سبنسر الانتماء الاجتماعي لتلك اللاعبات.

2- علاقة نساء القصر بالموسيقى:

كانت نساء القصر تهتم بسماع الموسيقى، وهذا ما أكدّه سيمون بفايفر الذي قام بصنع آلة* لم يسبق الجزائريين أن شاهدوا مثلها وذلك في مدة ثلاثة أشهر، واستعان بخادمه سافوريا الماهر في الحفر على الخشب. وقال أن سكان القصر اندهشوا لرؤيتها ومنهم

(1) وليم سبنسر، المرجع السابق، ص 102,103.

(2) نفسه، ص 121,122.

(3) نفسه، ص 123,124.

* كانت هذه الآلة عبارة عن قفص طويل عريض، به زغرودة، وقد ألصقت بها عصى خشبية بطرفها عجلة مسننة متصلة بعجلة أخرى، نقلا عن سيمون بفايفر، المصدر السابق، ص 47,48.

الخزناجي، فقد أرسل القفص إلى القصر ليتمكن من رؤيته نسائه ونساء الداي، فسررن به هن الأخريات، وأتيحت له فيما بعد أن يعرف من زوجة الوزير نفسه مدى إعجاب التركيات بقفصه في ذلك الحين، وظل محل إعجابهن لمدة طويلة⁽¹⁾.

وفي سياق الحديث عن نساء القصر، وصف لنا الأسير تيدنا سرايا الباي محمد التي تتكون من 120 امرأة تقريبا بينهن أربع سلطانات والوصيفات أو الأمات. هؤلاء النساء لا يخرجن إلا مرة كل سنة لقضاء يوم كامل في حديقة الباي وكن يخرجن قبل طلوع الشمس بساعة ويرجعن بعد غروبها بساعة وذلك حتى لا يراهن أحد، وفي هذا اليوم يسمح لكل امرأة محترمة أن تدخل الحديقة حيث توجد السلطانات ونساء كبار الشخصيات⁽²⁾. ولعل هؤلاء النسوة كن يمارسن نشاطات ما أو يسمعن الموسيقى خلال ذلك اليوم.

ثالثا- الموسيقى المحلية:

كان سكان الريف يستعملون آلات محلية كالبندير والطبلة والقصة، وهذا ما يعكس الطابع المحلي لها، وقد كانت هذه آلات حاضرة في المناسبات والاحتفالات الدينية أو الاجتماعية، التي كان إحيائها مرفوقا بفن من الفنون أو الطبوع الفلكلورية مثل البارود والحضرة والصارة⁽³⁾.

وبالنسبة للمرأة الطارقية كان لها دور في حفلات التيندي* وتعزف على آلة الأمزاد*. ويتخلل ذلك حركات للرقص مثل "اسوات" المعروفة عندهم. أما الزنوج فقد كانت لهم موسيقى خاصة وآلات تكاد تكون مثل الطبلة الكبيرة، والقراقب والغنبري.

وكان الرقص شائعا ولكن لدى الممتهنين فقط سواء كانوا رجالا أو نساء، فالرجل والمرأة المحترمة لا ترقص على الأقل أمام الناس وكان الرقص فرديا⁽⁴⁾.

(1) سيمون بفايفر، المصدر السابق، ص 47، 48.

(2) عمير اوي احميده، المرجع السابق، هامش ص 97.

(3) أحمد مريوش واخرون، المرجع السابق، ص 227، 228.

* التيندي رقصة شعبية متداولة عن الطوارق، والتندي نوع من الطبل تعزف عليه النسوة في أوقات الأفراح وأثناء غياب الزوج، نقلا عن عبد الله كروم، المرجع السابق، ص 137.

* الأمزاد وهي آلة وترية لها صوت رقيق وجداني، وهي من أحسن الآلات الموسيقية في مجتمع الهقار، وعادة ما تعزف عليه النسوة، نفس المرجع، ص 137.

(4) أبو القاسم سعد الله، محاضرات، المرجع السابق، ص 171.

وقد وجدنا نموذجاً لذلك لدى مالتسان الذي صادف في مقهى مجموعة من النائليات، وكن رشيقات القوام، وكن يمتهن الرقص ويسمون البنت التي تمارسها "العالمة"، ويضيف أنها اشد عنفاً من رقصة "النبيلة" بالعاصمة⁽¹⁾.

رابعا: الموسيقى النسوية في مراسيم استقبال البايات:

ذكر أحمد شريف الزهار في مذكراته أن قصر الداى كان يحتضن سهرات الطرب والموسيقى في المناسبات الخاصة والرسمية، ومنها الفرق النسوية المعروفة "بالمسمعات" أو "المسامع"* يغنين بالضرب على الدفوف مقابل هدايا المسؤولين وذلك على الأقل عند استقبال البايات في مدينة الجزائر لحضور مراسيم تعيينهم على "عملات" أو بايليكات⁽²⁾.

خامسا: فن الشعر عند المرأة:

يقول أبو القاسم عبد الله إن المرأة كانت غائبة عن المجتمع الجزائري في العهد العثماني، وهذا ما جعل شعراء الغزل قلة، فالشعراء لا يتحدثون عن المرأة بعينها حين يتغزلون وإنما يصفون المرأة من الوجهة المجردة، فكانت صورهم الشعرية أما مأخوذة من الماضي وإما غير منطبقة على الواقع، ولعل غياب المرأة وتحركها داخل المجتمع هو الذي جعل بعض الشعراء يعمدون إلى الغزل بالمذكر، مثلما فعل ابن علي.

يضاف إلى ذلك أن وسائل اللهو البريء التي تحرك الشاعر وتوحي للشعراء بالقول كانت قليلة أو غير معلنة، وهذا ما جعل الشباب يقضي أوقاته في صمت وعزلة قاتلة، فالمجتمع كان مجتمع الكبار وليس فيه للشباب مكان⁽³⁾.

ومن خلال ذلك يتبين لنا أن البيئة الطبيعية والاجتماعية تخلق للشاعر روح الإبداع، وهذا ما اختصت به الأندلس كما ذكرنا سابقا.

(1) للمزيد من الفصل ينظر، هاينريش مالتسان، المصدر السابق، ج3، ص ص 104-108.

* هن النسوة اللاتي يحترفن في مدينة الجزائر الرقص والغناء ونقر آلات الطرب ولا يزال الاسم مستعملا إلى اليوم، نقلا عن أحمد شريف الزهار، المصدر السابق، هامش ص 58.

(2) نفسه، ص 38

(3) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج2، ص 29.

ومع ذلك ترك لنا الرحالة الألماني بوفري شعرا لامرأة من الصحراء، تحكي فيها عن معاناتها مع زوجها، وجاء في أناشيد مرتجلة، تتسم بالرتابة والحزن وتنطلق في إيقاع خاص. يعتقد أن هذه الأناشيد تلقى بدورها بعض الضوء على حياة العرب العائلية ومما جاء فيه:

إن هذه الأبيات تعبر عن نفسها بنفسها، فهي تعكس واقع المرأة الجزائرية في الصحراء، وكيف أن الزوج يفضل المرأة الولود، ويحتقر العاقر من زوجاته، هذا من جهة، ومن جهة أخرى يعتبر هذا الشعر الشعبي صورة للواقع الاجتماعي في العهد العثماني.

ومن شعر اللهو عند المرأة ما تركه ابن عمار عن زهرة الأنس تلك البنت التي جلب لها أبوها بعد وفاة أمها جوارى لتعليمها الغناء والشعر لتلهيتها عن حزنها من فراق أمها، حيث تعرفت عن ابن الملك (ابن الداوي) ووقعت في حبه، فكانت دموعها تتدفق وتقول:

(2) أبو العيد دودو، المرجع السابق، ص 206، 207.

يا من رماني بجفن الأحور
لاشك حبيي غرامك قاتلي
ان لم تجد بالوصل يا هام قبلي
ولدغ قلبي بعقارب المنضر
يا غزال السحر يا بديع المنضر
فحبك سبي لسكون القري⁽¹⁾

ومن النادر مرثية ابن عبد الله محمد بن علي لزوجته، نذكر منها بيتين:

ولولا عذاب القلب لم يعذب الهوى
ولولا لهيب النار يزداد حره
ولولا التجني ما درى الوصل من يجني
لما أتقن صنع الحسام القين⁽²⁾

ومن أشعار الغزل سعيد المنداسي مما جاء فيها:

ليلي يا زايـرين ليلي
هواها ولو كثرة جفاها
يكذب من يدعي المحبة دون الروع⁽³⁾
ويضيف سعد الله أن هناك العديد من الشعراء كانوا يتغزلون ولا ييوحون⁽⁴⁾

(1) محمد ابن ابراهيم، حكاية العشاق في الحب والاشتياق، تحقيق، أبو القاسم سعد الله، ط2، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 2005، ص ص 13-27.

(2) محمد بن ميمون، المصدر السابق، ص 65.

(3) سعيد المنداسي، ديوان سعيد المنداسي، تحقيق، محمد بكوشة، ش، و، ن، ت، الجزائر، 1968، ص ص 4-6.

(4) أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص 293.

الخاتمة

الخاتمة:

بعد عرض موضوع هذا البحث، والذي درس المرأة الجزائرية ودورها في العهد العثماني، خلُصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج تمثلت في النقاط التالية:

- أدّى ذلك الفراغ السياسي الذي عرفته الجزائر في أواخر القرن (9هـ-15م)، ومطلع القرن (10هـ-16م) إلى استنجد أعيان مدينة الجزائر بالدولة العثمانية باعتبارها أقوى دولة إسلامية آنذاك، وبعد انضمامها الرسمي كان إلزاماً عليها أن تعتمد وسائل من شأنها إرساء ركائز الحكم في البلاد وكانت المصاهرة إحدى الوسائل الناجعة في ذلك، وبهذا نجد المرأة قد ساهمت في استقرار العثمانيين طوعاً أو إكراهاً.
- أمّا نتيجة الزواج المختلط فكانت ظهور طبقة "الكراغلة"، هذه الأخيرة حُرمت من الانتساب إلى آبائها، فكانوا ينسبون إلى أمهاتهم، فقد تكاثرت عددهم في أواخر العهد العثماني، ويرى المؤرّخون أنّهم كثيراً ما حاولوا التحالف مع السكان المحليين أي أخواهم للانقلاب على آبائهم وتشكيل حكومة وطنية، إلا أنّهم فشلوا في كل مرّة.
- أنّ المصادر المحلية كثيراً ما صمّمت عن دور المرأة في السياسة والثورات المحلية باستثناء بعض التلميحات العابرة، بينما المصادر الأجنبية أفصحت عن نماذج نسوية تركت بصمتها في الحكم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، وامتدّت حتى للمشاركة في الثورات المحلية التي رأها واجبا وطنيا لا تحتاج فيه لإذن من الرجل وهذا دون أن تنسلخ عن أنوثتها.
- أنّ المرأة قد حظيت في الوسط الأسري بمكانة بارزة كان الإسلام قد حفظها لها، وشملت هذه المكانة حتى الأسر اليهودية والمسيحية التي تأثرت بالعادات والتقاليد الإسلامية، فكانت لها أدوار داخل البيت وخارجه.
- كان للمرأة المسلمة دور مهمّ في التكافل الاجتماعي من خلال الوقف الذي دلّ على تمتّع المرأة بحقوقها في المجتمع خاصّة بالمدن، بينما المرأة في الأرياف كانت أقلّ حظاً في الميراث والملكية بحكم العادات والأعراف القبلية، وبهذا ساهمت في نسج الروابط الاجتماعية داخل وخارج الأيالة، رغم أنّ ذلك قد كرّس حياة الاتكال والكفاف.
- حافظت المرأة على الكثير من العادات والتقاليد الموروثة، إلا أنّ ذلك لا ينفي تأثرها بالمؤثرات الأندلسية والعثمانية باعتبار العامل الديني والثقافي المشترك.

- أن حضور المرأة كان قويًا في المجال الصناعي والفلاحي، أمّا الأوّل فقد ساهمت فيه المرأة وحققّت من خلاله الاكتفاء الذاتي وصارت تصدر منتوجاتها، إلّا أنّها لم تواكب التطوّر الحاصل في أوروبا آنذاك، أمّا الثاني فقد كانت المرأة هي عصب الحياة في الريف، فكانت لها عدّة أدوار داخل وخارج البيت، فكانت تقوم بعمل المرأة والرجل معًا. وبهذا تكون ساهمت في التنمية الاقتصادية بشهادة الرّحالة الأجانب الذين أشادوا بدور المرأة الريفية، ولكنّ هذا لا ينفي المساهمة الفعّالة للمرأة في المدينة حيث كانت الحرف والصناعات التقليدية هي المورد الأساسي بعد الغنائم البحرية للسكان.

- أن الوثائق الأرشيفية أشارت لثروات فئة من النساء تساوت فيها أحيانًا مع الرجل أو تعدّته، وكانت مصادرها مختلفة من ميراث أو هبة أو مهنٍ مارسنها أو معاملات تجارية (شراء، بيع، كراء عقارات) وغيرها، حتّى أنّها أشارت لنساءٍ مسلمات تعاملن مع اليهود، وهذا ما دلّ على انفتاح المرأة على مختلف فئات المجتمع، كما أنّ ذلك شمل نساء ذوات المكانة والجاه في المجتمع.

- أنّ من الظواهر الاجتماعية المنتشرة في أقاليم الجزائر، تلك الزوايا والأضرحة التي شجّع العثمانيون على تكاثرها وذلك لخدمة مصالحهم، كما أنّها حظيت بإسهام النساء المادي لها، وهذا ما أهّلها لتكون مؤسسة خيرية دينية في مستوى مؤسسة الحرمين الشريفين ومؤسسة سبل الخيرات وغيرها.

- كان لاعتقادات النساء في الأضرحة الأثر الإيجابي حيث حضت بمداخل مالية أوفر من الزوايا، وهذا بدوره انعكس على تدهور المستوى الفكري للمرأة وتخلّفها.

- انعكس الوضع الثقافي المتدهور على المرأة، حيث انحصر تعليم الفتيات في بعض البيوتات العلمية والحاكمة، وبعض الطرق الصوفية التي نادى بضرورة تعليم المرأة مثل الطريقة الرحمانية وإن كان غرضها مصلحيّ إلّا أنّها مساهمة تُحسب لها.

- أنّ تهميش المرأة واستبعادها من ميادين الحياة، وغياب الطبيعة والمرافق العامّة انعكس على الجمود الفكري للمرأة فلم تعرف شعارات ولا أدبيات ولا علامات بمستوى نساء الأندلس وربّما مرّد ذلك لشيخوخة المجتمع.

- قلّدت المرأة الفنون والموسيقى الأندلسية والعثمانية وذلك حسب القرب والبعد الجغرافي، أمّا المرأة الريفية فحافظت على الموروث الشعبي حيث نجد المرأة الصحراوية أكثر ميلا للطابع الإفريقي، وذلك يظهر في الآلات المستعملة والغناء.
- من خلال الدراسة المتواضعة يتّضح لنا أنّ المرأة كانت القلب النابض للمجتمع، إلّا أنّ أدوارها في المجتمع تفاوتت من ميدان لآخر حسب الظروف والعادات والتقاليد السائدة آنذاك. رغم ذلك كانت تحتلّ المرتبة الثانية بعد الرجل وذلك اتّباعا للشريعة الإسلامية، كما أنّها لم تطالب بالمساواة مع الرجل لأنّها لم تشعر بأنّها دونه لتضع نفسها في الميزان كما يحدث في وقتنا الحاضر.
- هذه بعض الاستنتاجات التي توصلت إليها وهي لا تعتبر أحكاما مطلقة ونهائية بل هي قابلة للمناقشة والإثراء.

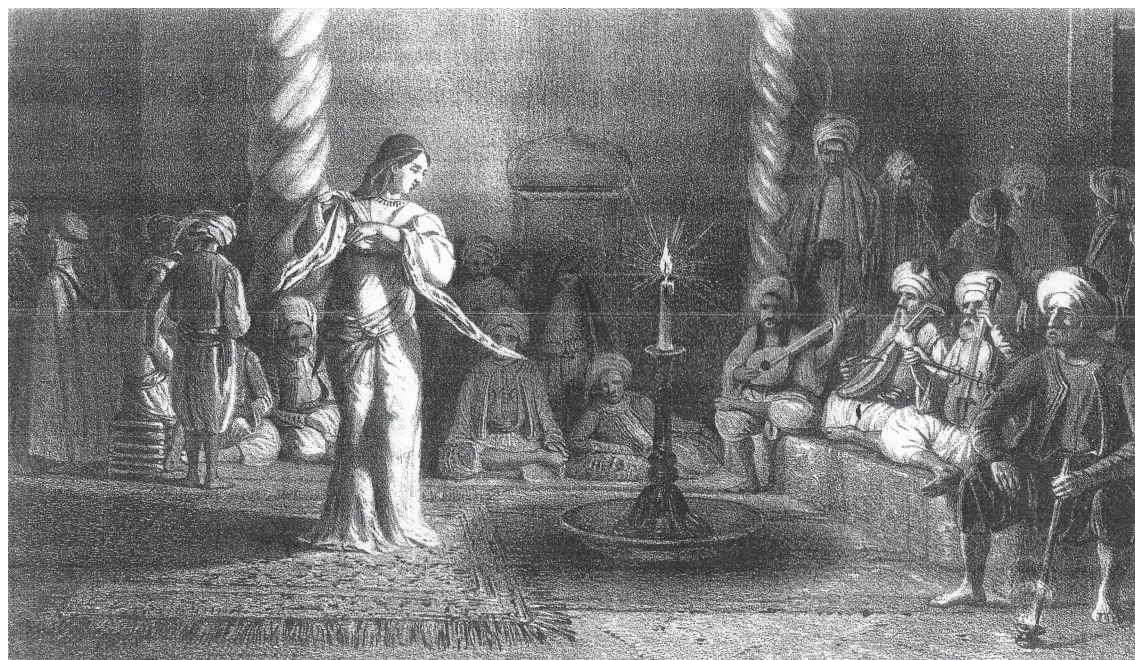
الملاحق

الملحق رقم: 01 حفلة ختان يهودية⁽¹⁾



¹ نقلا عن أليسور. وويلد، المصدر السابق، اللوحة رقم 39.

الملحق رقم: 02 حفلة مغربية⁽¹⁾



¹ نقلا عن أليسور. وويلد، المصدر السابق، ، اللوحة رقم 26.

الملحق رقم: 03 امرأة من مدينة الجزائر مزينة بالحلي⁽¹⁾



¹ نصر الدين براهيم، تاريخ مدينة الجزائر في العهد العثماني، منشورات ثالة، الجزائر، 2010، ص 215.

الملحق رقم: 04 صور لباس النساء اليهوديات⁽¹⁾.



يهودية ترتدي لباس المدينة.



يهودية متزوجة.



امراة شابة يهودية



فتاة يهودية
من مدينة الجزائر



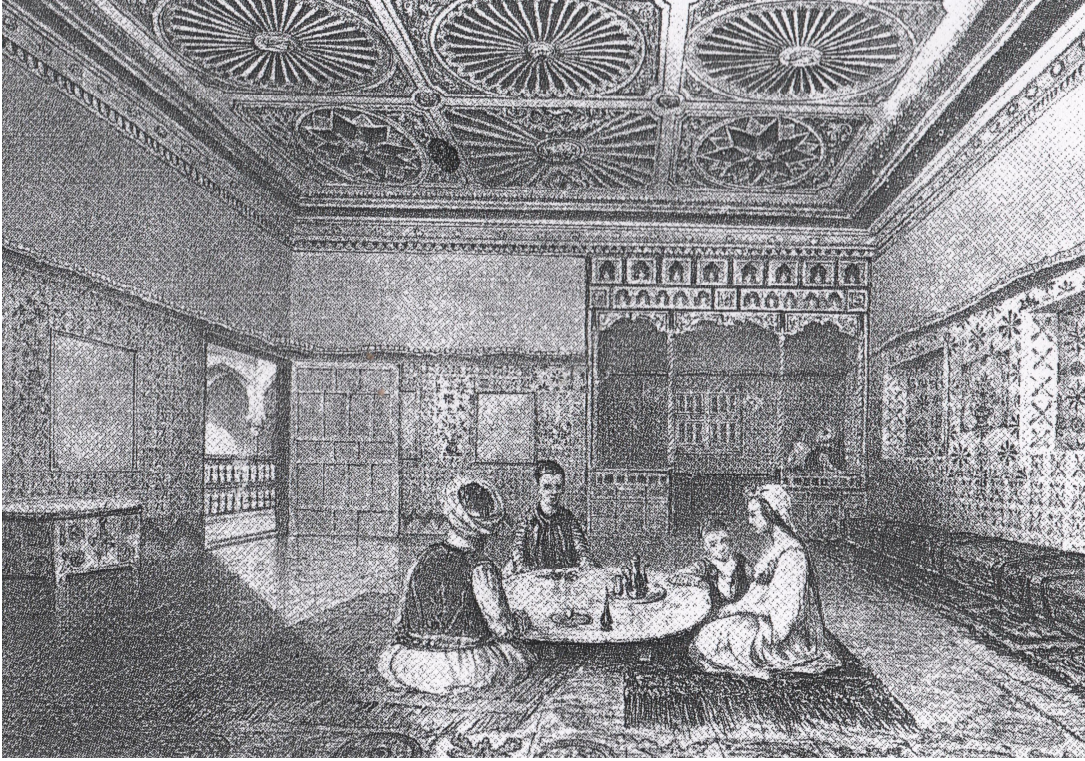
عجوز يهودية من مدينة الجزائر.



عجوز يهودية من مدينة الجزائر.

¹ نصر الدين براهيم، المرجع السابق، ص 225.

الملحق رقم: 05 عائلة جزائرية تناول القهوة في غرفة وترى إلى اليسار جزء من صحن
الدار⁽¹⁾



¹ أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا، داي الجزائر، 1766-1791، المرجع السابق، ص 89.

الملحق رقم: 06 مهنة التطريز⁽¹⁾

لوحة للفنان فريد يريك بردمان



¹ نصر الدين براهيمى، المرجع السابق، ص 223.

الملحق رقم: 07 نساء في زيارة لمقبرة سيدي عبد الرحمان (لوحة للفنان ليون كوفي)⁽¹⁾



¹ نصر الدين براهيمى، المرجع السابق، ص 228.

البيلوغرافيا

I - المصادر و المراجع و المقالات باللغة العربية:

(1) المصادر:

1-1 القرآن الكريم:

1-2 المصادر العربية والمعرّبة:

- الأندلسي محمد غسان، رحلة الوزير في إفتكاك الأسير (1690-1691) تحرير وتقديم: نوري الجراح، ط1، دار السويدي، لبنان، 2000.
- ابن إبراهيم محمد، حكاية العشاق في الحب والإشتياق، تحقيق، أبو القاسم سعد الله، ط2، دار الغرب الإسلامي لبنان، 2005.
- بفايفر سيمون، مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، تقديم وتعريب، أبو العيد دودو، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1974.
- بن حمادوش عبدالرزاق، رحلة ابن حمادوش الجزائري أو لسان المقال في التنبأ عن النسب والحال، تحقيق، سعد الله، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003.
- خوجة حمدان بن عثمان، المرأة، تقديم وتعليق وتحقيق، محمد العربي الزبيري، ط.م.و.إ.إ، الجزائر، 2008.
- الزهار أحمد شريف، مذكرات أحمد شريف الزهار، تحقيق، أحمد توفيق المدني، ط2، ش.ن.و.ت، الجزائر، 1980.
- ستيفن جيمس ولسون، الأسرى الأمريكيان في الجزائر 1785-1797، ترجمة، علي تابلت، منشورات ثالة، الجزائر، 2007.
- ابن سحنون أحمد علي الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق، المهدي البوعبدلي، المطبعة الثعالبية، قسنطينة، 1979.
- شالر وليم، مذكرات وليم شالر قنصل أمريكا في الجزائر (1816-1824)، تعليق وتقديم، إسماعيل العربي، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1982.
- شلوصر فندلين، قسنطينة أيام أحمد باي 1832-1837، ترجمة وتقديم، أبو العيد دودو، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007.
- الطبري أبو جعفر، محمد ابن جرير، تاريخ الأمم والملوك، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، 1991، ج2.

- بن عبد الحكيم عبد الرحمن، فتوح مصر والمغرب، تحقيق، علي عامر، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 1955.
- كرنخال مارمول، إفريقيا، ترجمة، جيجلي محمد وآخرون، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرباط، 1984، ج1.
- مالتسان هاينريش فون، ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا، ترجمة، أبو العيد دودو، دار الأمة، الجزائر، مج1، 2009، ج1، ج2.
- ابن مريم محمد بن محمد، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، مراجعة، محمد بن أبي الشنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر 1908.
- المنداسي سعيد، ديوان سعيد المنداسي، تحقيق، محمد بكوشة، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1968.
- بن ميمون محمد، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تقديم وتحقيق، محمد بن عبد الكريم، ط1، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1972.
- الوزان الحسن بن محمد، وصف إفريقيا، ترجمة، محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1983، ج2.
- ووليد. أ ليسور، رحلة طريفة في أيلة الجزائر، تحقيق وترجمة جيجلي محمد، منشورات دار الأمة، الجزائر، 2001.
- 2) المراجع العربية والمعرية:**
- بن آشنهو عبد الحميد، الملك يوبا الثاني وزوجه كليوباترة سيليني، المطبعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007.
- أحميدة عميراي، الجزائر في أدبيات الرحلة والأسرة خلال العهد العثماني "مذكرات تيدنا أنموذج"، دار الهدى، الجزائر، 2003.
- بن آشنهو عبد الحميد، دخول الأتراك العثمانيون إلى الجزائر، المطبعة الشعبية للجيش، الجزائر، 1972.
- ألتر عزيز سامح، الأتراك العثمانيون في شمال إفريقيا، ترجمة محمود علي عامر، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1989.

- بحاز إبراهيم، الدولة الرستمية دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، 1993.
- بخاي فاطمة، احكي لي وهران، ترجمة، إنعام بيوض، منشورات القارئ، الجزائر، 2002.
- بروكلمان كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة، منير بعلبكي وأمين فارس، ط1، دار العلم، بيروت، 1948.
- بوحوش عمار، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997.
- بوعزة بوضرساية، الحاج أحمد باي في الشرق الجزائري رجل دولة ومقاوم 1830-1848، دار الحكمة، الجزائر، 2010.
- بوعزيز يحيى، المرأة الجزائرية وحركة الإصلاح النسوية العربية، ع.م.ن.ت، الجزائر، 2009.
- بوعزيز يحيى، الموجز في تاريخ الجزائر، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1985، ج2.
- بوعزيز يحيى، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ع.م.ن.ت، الجزائر، 2009.
- بوغفالة ودان، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لمدينتي المدية ومليانة في العهد العثماني، ط1، كتبة الرشاد، سيدي بلعباس، الجزائر، 2009.
- جولييان شارل اندري، تاريخ إفريقيا الشمالية من الفتح الإسلامي إلى سنة 1830، تعريب: مزالي و البشير بن سلامة، ط3، الدار التونسية للنشر، 1985، ج2.
- الجيلالي عبد الرحمن، تاريخ الجزائر العام، ط2، دار الثقافة، بيروت، 1983، ج3.
- بن حموش مصطفى أحمد، المدينة والسلطة في الإسلام "نموذج الجزائر في العهد العثماني"، ط1، دار البشائر، دمشق، 1999.
- بن خروف عمار، العلاقات السياسية بين الجزائر و المغرب في القرن (10هـ-16م)، دار الأمل، الجزائر، 2006، ج1.
- خلاصي علي، قصبة مدينة الجزائر، ط1، دار الحضارة، الجزائر، 2007، ج2.
- درياس يمين، السكة الجزائرية في العهد العثماني، ط1، دار الحضارة، الجزائر، 2007.

- دودو أبو العيد، الجزائر في مؤلفات الحالين الألمان 1830-1855، م.و.ك، الجزائر، 1989.
- ركيبي عبدالله، الجزائر في عيون الرحالة الإنجليز، دار الحكمة، الجزائر، 1999، ج1.
- الزيري محمد العربي، التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة ما بين 1792-1830، ط2، م.و.ك، الجزائر، 1984.
- الزيري محمد العربي، مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الحديث، ط2، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1980.
- سبنسر وليم، الجزائر في "عهد رياح" البحر، تعليق وتقديم، عبد القادر زبادية، دار القصة للنشر، الجزائر، 2002.
- سري سيد أحمد، الطرب الأندلسي مجموعة أشعار وأزجال موسيقى الصنعة، دار موفم للنشر، الجزائر، 2006.
- سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر الحديث، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990، ج1.
- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830)، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1998، ج2.
- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830)، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1998، ج1.
- سعد الله أبو القاسم، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.
- سعيدوني ناصر الدين، ورقات جزائرية دراسية وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار البصائر، الجزائر، 2008.
- سعيدوني ناصر الدين والمهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ - العهد العثماني، م.و.ك، الجزائر، 1984، ج4.
- سويدي جمال شخصيات بارزة في تاريخ الجزائر القديم (من القديم إلى 1830)، ترجمة فائزة بوردوز، منشورات التل، البلدة، الجزائر، 2007.

- شوفاليه كورين، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر 1510-1541، ترجمة جمال حمادنة، د.م.ج، الجزائر، 2007.
- الطمار محمد، الروابط الثقافية بين الجزائر و الخارج، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1963.
- عباد صالح، الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987.
- عبد الوهاب حسن حسني، شهيرات تونسيات من الفتح الإسلامي إلى الزمان الحاضر، ط2، مطبعة المنار، تونس، 1966.
- عبد الحميد شافع راوية، المرأة في المجتمع الأندلسي من الفتح الإسلامي للأندلس حتى سقوط قرطبة، ط1، مطبعة الصحوة، مصر، 2006.
- عبد الرحمن بشير، اليهود في المغرب العربي، منشورات عين شمس للدراسات والبحوث الإنسانية و الاجتماعية، القاهرة، 2001.
- العقبي صلاح مؤيد، الطرق الصوفية و الزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، دار البرق، لبنان، 2002.
- عمورة عمار، الجزائر بوابة التاريخ (ما قبل التاريخ إلى 1962) -الجزائر عامة-، دار المعرفة، الجزائر، 2006، ج1.
- غطاس عائشة، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسستها، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وأول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007.
- فرج محمد الصغير تاريخ تيزي وزو منذ نشأتها حتى سنة 1954، تعريب، موسى زمولي، منشورات ثالة، الجزائر، 2007.
- فركوس صالح، الحاج أحمد باي قسنطينة 1826-1850، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009.
- فيلاي عبد العزيز، تلمسان في العهد الزياني، ط.م.و.ف.م، الجزائر، 2002، ج2.
- قجة محمد حسين، محطات أندلسية دراسات في تاريخ الأدب والفن الأندلسي، ط1، الدار السعودية للنشر، جدة، 1985.
- قشي فاطمة الزهراء، الزواج و الأسرة في قسنطينة في أواخر القرن 18م، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007.

- قشي فاطمة الزهراء، قسنطينة في عهد صالح باي البابات، منشورات ميديا بلوس، قسنطينة، 2005.
- قنان جمال، معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619-1830، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، 2007.
- الكعك عثمان، موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي، تقديم ومراجعة، سعد الله وآخرون، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1989، ج1.
- مبارك مريم سيدعلي، رجال لهم تاريخ متبوع بنساء لهن تاريخ، دار المعرفة، الجزائر، 2010.
- مخالفة عوف، تاريخ الألبسة التقليدية الجزائرية، ط.م.و.ف.م، الجزائر، 2007.
- المدني أحمد توفيق، محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-19791 سيرته، حروبه، أعماله، نظام الدولة نظام و الحياة العامة في عهده، م.و.ك، الجزائر، 1986.
- مريوش أحمد و مجموعة مؤلفين، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007.
- مريوش المنور، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009، ج1.
- مصمودي فوزي، تلمسان بعيون عربية، ط1، دار السبيل، الجزائر، 2011.
- الملي محمد مبارك، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم و تصحيح، محمد الملي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1989، ج3.
- نصر الدين براهيم، تاريخ مدينة الجزائر في العهد العثماني، منشورات ثالثة، الجزائر، 2010.
- هلايلي حنفي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، دار الهدى، الجزائر، 2009.
- هلايلي حنفي، دراسات في التاريخ الأندلسي والموريسكي، دار الهدى، الجزائر، 2010.

3) المقالات باللغة العربية :

- بوعزيز يحيى، "أوضاع المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرنين 19-20"، مجلة الثقافة، العدد 63، 1981.
- البوكلي فايزة، "قراءة في المساهمات العلمية للمرأة الأندلسية في عصر المرابطين و الموحدين" مجلة دعوة الحق، العدد 399، سنة 53، المغرب، مارس 2011.
- التميمي عبد الجليل، "رسالة أهالي مدينة الجزائر للسلطان العثماني سنة 1519م"، المجلة التاريخية المغربية، العدد 5، تونس 1976.
- جعفري مبارك، "جوانب من الحياة الاجتماعية في منطقة توات من خلال المصادر المحلية (ق12/هـ18م)"، أعمال الملتقى الوطني الثاني حول الحياة الاجتماعية و الإقتصادية في الجنوب الجزائري خلال القرنين (12-13/هـ18-19م) من خلال المصادر المحلية، جامعة واد سوف، جانفي 2013 .
- خيراني ليلي، "دراسة في الثروات النساء في مجتمع مدينة الجزائر في العهد العثماني"، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 13، الجزائر، 2011.
- سعيدوني ناصر الدين، "موظفو مؤسسات الأوقاف في أواخر العهد العثماني من خلال وثائق الأرشيف الوطني"، المجلة التاريخية المغربية، العدد 58/57، تونس 1990.
- سيدي موسى محمد الشريف، "التربية و التعليم بالجزائر في العصر الوسيط - بجاية نموذج -" حولية المؤرخ، العدد 2 الجزائر 2002.
- عبد الشكور نبيلة، "أثر المرأة في الثقافة في المغرب الأوسط"، مجلة دعوة الحق، العدد 399، سنة 53، المغرب، مارس 2011.
- العربي إسماعيل، "الحياة الإقتصادية و الاجتماعية عند طوارق أهجار"، مجلة الأصالة، العدد 72، تمراست، أوت 1979.
- غطاس عائشة، "الصدّاق في مجتمع مدينة الجزائر 1672-1854 من خلال سجلات المحاكم الشرعية"، إنسانيات، العدد 63، 1981
- غطاس عائشة، "إسهام المرأة في الأوقاف في مجتمع مدينة الجزائر خلال العهد العثماني"، المجلة التاريخية المغربية، العدد 86/85، 1997.

- كروم عبد الله، " المرأة في مجتمع الطوارق خلال القرن 19م - منطقة الهقار عينة -"، أعمال الملتقى الوطني الثاني حول الحياة الاجتماعية و الاقتصادية في الجنوب الجزائري خلال القرنين (12-13هـ/18-19م)، من خلال المصادر المحلية، جامعة واد سوف، جانفي 2013 .
- معاش جميلة، "نماذج عن مكانة المرأة في الجزائر خلال العهد العثماني"، مجلة التراث، العدد 8، قسنطينة، 1995.
- المغراوي محمد، "المرأة المغربية في بدايات العصر الإسلامي"، مجلة دعوة الحق، العدد 399، سنة 53، المغرب، مارس 2011.
- وافي علي عبد الواحد، "المرأة و الأسرة في الإسلام"، مجلة الأصالة، العدد 2، الجزائر، ماي 1971.

II المصادر و المراجع و المقالات باللغة الأجنبية:

1- المصادر الأجنبية:

- Hoëdo (f. Diego de), histoire des rois d'Alger, tarel. Française de H. degrammont, Alger, 1881.
- Peyssonnel (J.A), voyage dans les régence de Tunis et d'Alger, édition la découverte 1, place Paule - Painlevé, Paris v^e, 1978.
- Ventune de paradis (j.M), Tunis et Alger au 18 siècle, présentation de j.coq, sindbad, Paris, 1985

2- المراجع الأجنبية:

- Ben achenhou – Abd-el-Hamid, formation du sous développement en Alger, ENC, Alger, 1978.
- Feraud Charles, histoire des villes de la province de Constantine, bougie. L. arnault, 1870.
- Fischer. G, légende barbaresque: guerre, commerce, et piraterie en Afrique du Nord de 1415 a 1830. Tard. Et annoté par Farid hillal, O.P.U, Alger, 1991.

3- المقالات الأجنبية:

- Feraud charles, « les Harar seignienrs des hnancha », in R.A, N°18, 1874.
- Feraud charles, «l'exploitation de la karasta, dans la kabyle orientale sous la domination turque», in R.A, N°12, 1868.
- Guin louis, «note sur la famille de h'obrini», in R .A, N°18, 1874.

III - الرسائل الجامعية:

- خليفة حمّاش، "الأسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني"، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، جامعة قسنطينة، 2006-2007.
- سعيود إبراهيم، "علاقات الجزائر بالدويلات الإيطالية خلال القرنين 17-18"، رسالة ماجستير، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1999-2000.
- شويّتام أرزقي، "المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني"، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، الجزائر، 2005-2006.
- العناني مريّمة، "الأسرة الأندلسية في عصر المرابطين و الموحدّين"، مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ و الآثار، قسنطينة.
- معمر رشيدة شدرى، " العلماء والسلطة العثمانية في الجزائر فترة البدايات (1671-1830)", رسالة ماجستير ،جامعة الجزائر ،2005-2006.
- موساوي - القشاعي فلة، "الصحة والسكان في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي (1518-1871)", أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2003-2004.

IV - المعاجم و القواميس:

- بوعزيز يحيى، إعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995، ج1.
- الحفناوي أبو القاسم، تعريف الخلف برجال السلف، تقديم محمد رؤوف القاسمي الحسني، ط.م.و.ف.م، الجزائر 1991، ج1.
- الحفناوي أبو القاسم، تعريف الخلف برجال السلف، تقديم محمد رؤوف القاسمي الحسني، ط.م.و.ف.م، الجزائر 1991، ج2.
- سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مراجعة، عبد الرزاق محمد و حسن بركات، مكتبة الملك فهد الوطنية 2006.
- الشيخ أبو عمران وآخرون، معجم مشاهير المغاربة، منشورات دحلب، الجزائر 2001.
- بوزيدة عبد الرحمان وآخرون، قاموس الأساطير الجزائرية، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر 2005.

V - المواقع الإلكترونية:

<http://www.radioalgerie.dz/live/index.html>

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات:

01	المقدمة.....
06	المدخل: مكانة المرأة الجزائرية قبل العهد العثماني.....
	الفصل الأول: المرأة عنصر في العلاقات الأسرية والسياسية
16	المبحث الأول: المصاهرة بين العثمانيين والسكان المحليين.....
24	المبحث الثاني: أثر الزواج المختلط على سياسة البلاد.....
30	المبحث الثالث: نماذج لأبرز الشخصيات النسوية.....
	الفصل الثاني: المرأة ودورها الاجتماعي
36	المبحث الأول: مكانة المرأة ودورها الأسري.....
40	المبحث الثاني: أوقاف المرأة وأثرها في التكافل الاجتماعي.....
47	المبحث الثالث: مشاركة المرأة في الحياة الاجتماعية.....
	الفصل الثالث: المرأة ودورها الاقتصادي
58	المبحث الأول: ممارسة المرأة للحرف والصناعات التقليدية.....
63	المبحث الثاني: مساهمة المرأة في المجال الفلاحي.....
68	المبحث الثالث: مصادر ثروات المرأة.....
	الفصل الرابع: المرأة ودورها الديني والثقافي
74	المبحث الأول: علاقة المرأة بالزوايا والأضرحة.....
79	المبحث الثاني: نصيب المرأة من التعليم.....
84	المبحث الثالث: علاقة المرأة بالفن والموسيقى.....
92	الخاتمة.....
96	الملاحق.....
104	الببليوغرافيا.....
114	فهرس الموضوعات.....

ملخص البحث

- حظيت المرأة الجزائرية عبر التاريخ بمكانة بارزة، سواء في الوسط الأسري أو الاجتماعي من خلال أدوارها في شتى الميادين، وفي العهد العثماني كانت المرأة القلب النابض للمجتمع إلا أن أدوارها في المجتمع تفاوتت من ميدان لآخر حسب الظروف والعادات والتقاليد السائدة آنذاك.

- ففي الميدان السياسي، كانت حاضرة بشكل مباشر وغير مباشر في تسيير أمور البلاد، أمّا في الميدان الاجتماعي فقد كانت تحظى بمكانة داخل الأسرة وخارجها، فإلى جانب اهتمامها بشؤون المنزل، كان لها دور مهم في التكافل الاجتماعي ونسج الروابط الاجتماعية داخل البلاد وخارجها، ولعل دور المرأة كان أقوى في الميدان الاقتصادي من خلال الصناعات والحرف التقليدية خاصة في المدن أو من خلال فاعليتها في المجال الفلاحي في الريف، فكثيرا ما ساهمت في تحقيق الاكتفاء الذاتي للبلاد، إلا أن حالها حال المجتمع آنذاك، لم تواكب التطور الحاصل في الدول الأوروبية.

- أمّا عن الميدان الثقافي والديني، فكانت شبه غائبة، وهذا طبعا يرجع للمستوى الثقافي المتدهور للمجتمع آنذاك، والذي ساهم فيه الحكام العثمانيون، فكانت أدوارها محتشمة في هذا الميدان باستثناء مساهمتها في تمويل الزوايا والأضرحة من خلال الوقف، بينما لم يكن يحظى تعليمها باهتمام الآباء إلا في بعض البيوت العلمية والحاكمة التي حرصت على تعليم وتثقيف بناتها، ولكن لم تبرز منهنّ عالمات وفقهات بمستوى نساء الأندلس، ولكن ما يُحسبُ للمرأة الجزائرية في ذلك العهد، حفاظها على الموروث الثقافي، سواء في المدينة أو في الريف، ومع ذلك تأثرت بالمؤثرات الأندلسية والعثمانية، بحكم العامل الديني والثقافي المشترك. وفي الأخير تجدر الإشارة إلى أن المصادر المحلية كثيرا ما سكّنت عن دور المرأة الجزائرية في ذلك العهد، ولا ندري إن كان تعصبا أم عدم اهتمام، بينما المصادر الأجنبية تحدّثت عن هذا الموضوع، نظرا لاهتمامهم بالمواضيع الاجتماعية، ورغم ذلك، وجب علينا توخّي الحذر في التعامل مع المادّة العلمية لتلك المصادر الأجنبية.

Résumé de la quête

- La femme Algérienne a acquis à travers l'histoire une position éminente, tant au milieu familial ou social à travers ses rôles dans divers domaines, et à l'ère ottoman, la femme était le cœur pulsatif de la communauté, mais ses rôles dans la société varient d'un domaine à l'autre selon les circonstances, les coutumes et les traditions en vigueur à l'époque.

- Dans le domaine politique, était présente, à la fois directement et indirectement dans la gouvernance du pays, mais dans le domaine social a acquis le statut au sein de la famille et à son extérieur, en plus de sa sollicitude aux affaires de la maison, a eu un rôle important dans la solidarité sociale et de tissage des liens sociaux à l'intérieur et à l'extérieur du pays, et peut-être le rôle de la femme été plus vigoureux dans le domaine économique à travers les industries et métiers traditionnels, notamment dans les villes ou à travers son efficacité dans le domaine de l'agriculture dans la campagne, car souvent a contribué à l'autosuffisance du pays, mais du fait que son sort était du même de la communauté de son époque, elle n'a pu suivre le rythme de développement qui se produisait dans les pays européens.

- En ce qui concerne le domaine culturel et religieux, était presque absente, et ce, bien sûr est due au niveau culturel décadent de la société à l'époque, que les dirigeants ottomans y ont contribué, ses rôles étaient modestes dans ce domaine à l'exception de sa contribution au financement des oratoires et des cénotaphes à travers les dotations, tandis que son enseignement n'intéressait pas les parents sauf dans certaines communautés scientifiques et gouvernantes qui ont enseigné et cultivé leurs filles, mais il y avait pas d'entre elles des savants et des doctes du rang des femmes de l'Andalousie, mais ce qui comptait à la femme algérienne à cette époque, sa préservation du patrimoine culturel, en ville comme à la campagne, cependant, affectée par les facteurs andalous et ottomans, en vertu du facteur religieux et interculturel. Enfin, il faut noter que les sources locales, souvent se taisent sur le rôle de la femme algérienne à cette époque, et nous ne savons si c'est fanatisme, ou manque d'intérêt, tandis que les sources étrangères se sont exprimées sur ce sujet, en raison de leur intérêt pour les questions d'ordre social, cependant, nous devons être prudents dans le traitement avec la matière scientifique de ces sources étrangères.